تنبيه: هذه المادة لم يراجعها الشيخ حتى الآن

شرح

مسائل الجاهلية

١٤١٧هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مسائل الجاهلية

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – سنة ألف ومائة وخمس عشرة للهجرة في بلدة العيينة في نجد وكان أبوه قاضي العيينة وكان جده مفتي البلاد النجدية في عصره وقد حفظ على والده القرآن قبل العاشرة ثم قرأ الفقه الحنبلي على والده وحفظ عليه المتون في شتى الفنون ورحل إلى ضواحي نجد ثم حج وجاوز إلى مكة وقرأ على علمائه ثم رحل إلى المدينة فقرأ على علمائها ثم الشيخ عز الدين إبراهيم بن سيف الشمري وابن إبراهيم والشيخ المحدث صخر بن حياة ، ثم رحل إلى العراق فأقام والبصرة وأخذ من علمائها الشيخ محمد وكان رحمه الله إمام دعوة مؤلفاَ وما ذكره الشيخ موجود في عصرنا .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فهذا كتاب نافع جداً لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – جمع فيه شيئاً من مسائل الجاهلية ولم يستوعب – رحمه الله تعالى – ولم يكن ذلك من شرطه بل قال رحمه الله :

قال المؤلف رحمه الله : (هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين) :

فلم يكن شرطه – رحمه الله – الاستيعاب وإنما ذكر من المسائل ما كان موجوداً في الناس فذكر من أمور الجاهلية ما كان في الناس الذين أو عاصرهم – رحمه الله – ومن ذلك المسائل التي كان يحتج بها خصومه عليه رحمه الله تعالى فكان يذكر هذه المسائل أيضاً كمسألة الاغترار بالكثرة مثلاً فإنهم كانوا يرمونه – رحمه الله – بالشذوذ ومخالفة الجماعة فكان يبين رحمه الله كما بيّن في مسائل الجاهلية : أن الحكم ليس للكثرة وإنما هو للدليل .

وكان رحمه الله إمام دعوة قبل أن يكون مؤلفاً فليس الغرض من هذا الكتاب هو التأليف المحض بل كان يضع المسائل التي كان يعايشها رحمه الله في دعوته إلى التوحيد وإلى شرائع الإسلام ، والجاهلية : مأخوذة من الجهل .

وهي نوعان :

أ – الجاهلية الأولى : هي ما كان قبل الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ فما كان قبل الإسلام هو الجاهلية الأولى .

ب – الجاهلية الأخرى : وهي ما بعد الإسلام وقد قال النبي ﷺ كما في الصحيحين لأبي ذر رضي الله عنه : (**إنك امرؤ فيك جاهلية**) وقال كما في صحيح مسلم : (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة على الميت والأستسقاء بالأنواء**) .

والجاهلية الأخرى : تكون مقيدة إما ببلاد الكفر أو ببعض بلاد الإسلام أو ببعض الأشخاص ولا تكون جاهلية مطلقة عامة فلا يكون الجهل بعد الإسلام في زمان مطلق بل مقيد ببعض البلدان أو ببعض بلاد الكفر أو ببعض الأشخاص .

وأما ما قبل الإسلام فقد تكون جاهلية مطلقة كما كان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ وقد لا تكون مطلقة بل مقيدة كما في عصر بعض أنبياء الله سبحانه وتعالى .

ويدل عليه – وهو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط المستقيم .

يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**) أهـ .

فهذا يدل على أن ما بعد بعثة النبي ﷺ لا تكون الجاهلية فيه عامة ومطلقة .

وعليه : فلا يصح نسبة الجاهلية إلى قرن من قرون الإسلام كأن يقال : جاهلية القرن العشرين ، أو جاهلية القرن الرابع عشر أو غير ذلك فإن الجاهلية لا تكون بعد الإسلام مطلقة وإنما هي مقيدة .

فمثلاً : في عصر الإمام محمد رحمه الله تعالى كانت الجاهلية في كثير من البلاد الإسلامية فكانت القبور تعبد من دون الله تعالى ولكن لم يكن هذا عاماً في جميع البلاد فكانت نجد في عصره بعد أن استقر له الأمر فيها : تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئاً .

ومسائل الجاهلية منها ما يكون كفراً ينقل عن الملة ومنها ما لا يكون كذلك .

فمثلاً : الإشراك بالصالحين هذا من مسائل الجاهلية وهي المسألة الأولى التي ذكرها الإمام هنا فهي من مسائل الجاهلية التي تنقل عن الملة .

وهناك ما لا ينقل عن الملة كالفخر بالأحساب .

والحاكم في ذلك هو الدليل :

قوله : (**والضد يظهر حسنه الضد .... وبضدها تتبين الأشياء**) :

الشطر الأول منه عجز بيت " أي آخر بيت " والشطر الثاني منه أيضاً عجز بيت فهو بيت مركب من عجزين ٠

وفيه بيان فائدتين في باب ذكر مسائل الجاهلية ٠

١- الفائدة الأولى : معرفة قبح مسائل الجاهلية يتبين بها معرفة حسن مسائل الإسلام فإذا عرف العبد قبح المسائل الجاهلية وقبح ماكان عليه أهل الجاهلية فإنه يتبين له حسن ما عليه أهل الإسلام ويتعرف أيضاً على محاسن الإسلام

٢- الفائدة الثانية : أن معرفة مسائل الجاهلية تدل على مسائل الإسلام فإذا عرف مسائل الجاهلية تبين له ضدها وهي مسائل الإسلام فإذا عرف أن من مسائل الجاهلية التقرب إلى الله تعالى والتزلف إليه بالإشراك بالصالحين فإنه يعلم أن عدم الإشراك بالصالحين تقرباً إلى الله وتزلفاً إليه هذا من مسائل الإسلام وهكذا ٠

قوله : (**فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية**) :

سواء أكان بالقلب أو باللسان أو بالجوارح (**تمت الخسارة**) هذه من مسائل الجاهلية التي تكون ناقلة عن الملة كما قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون** ﴾ ٠

قوله : (المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله ﴾ وقال تعالى : ٠٠٠) :

وهذه المسألة من مسائل الجاهلية وهي التي بعث النبي ﷺ بتقريرها وبيانها وإيضاح الحجة فيها وهي ما كان عليه أهل الجاهلية من التقرب إلى الله تعالى والتزلف إليه بالإشراك في الصالحين فكانوا يعبدون الصالحين ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله تعالى فيسألونهم ويدعونهم ويتوكلون عليهم من دون الله تعالى ويزعمون أنهم وسائط بينهم وبين الله ﷻ وأنهم شفعاء عند الله لهم ، فهذا ما كان عليه أهل الجاهلية كما قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وقال : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ وهذا كفر بالإجماع وهو من المعلوم من

الدين بالضرورة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (أو اتخذ وسائط بينه وبين الله تعالى يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر) أ . هـ ، وهذا بالإجماع ٠

فكان هذا من مسائل الجاهلية كما كانوا يعبدون اللات مثلاً : **﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾** واللات : اسم رجل صالح كان يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره كما قال هذا ابن عباس رضي الله عنهما وغيره فكان رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج أي يحسن للناس فكان أن عبدوه من دون الله عز وجل ٠

وكما قال تعالى عن قوم نوح : **﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾** وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا عبدوهم من دون الله تعالى كما في أثر ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري ٠

إذن : كان أهل الجاهلية يتخذون الصالحين وسائط بينهم وبين الله عز وجل شفعاء لهم عند الله ﷻ فيدعونهم من دون الله ويسألونهم ويتوكلون عليهم ٠

وهذه المسألة واقعة في عصرنا أيضاً وهكذا المسائل التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى فإنها واقعة فالناس يعايشون هذه المسائل كلها فهذه المسألة ظاهرة في المجتمع الإسلامي وهي اتخاذ الصالحين أنداداً من دون الله تعالى ويقولون هم شفعاء لنا عند الله وهم وسائط إلى الله سبحانه وتعالى ٠

فهذا داء منتشر في كثير من البلاد الإسلامية بل إن شركهم أقبح من شرك المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ فإن المشركين لم يكونوا يعتقدون منهم النفع والضر ، وأما هؤلاء فإن منهم من يعتقد في هؤلاء الصالحين النفع والضر كما يقع هذا لكثير من غلاة المتصوفة الذين يعتقدون في أقطابهم أنهم ينفعون ويضرون ٠

كذلك أهل الشرك في هذا العصر وما قبله يعبدون الصالحين في الرخاء والشدة وأما المشركون الأولون فلم يكونوا يعبدونهم في الشدة وإنما كانوا يعبدونهم في الرخاء ٠

قوله : (وهذه هي المسألة التي تفرق فيها الناس بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾) :

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم**) ٠

والأدلة كثيرة في الشريعة الدالة على تحريم اتباع أهل الجاهلية منها :

١- أولاً : ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (خالفوا المشركين) الحديث .

٢- ثانياً : وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن**) .

٣- ثالثاً : ثبت في سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد بسند جيد قال النبي ﷺ : (**ومن تشبه بقوم فهو منهم**) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وهذا الحديث في أقل أحواله يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم) أ . هـ .

٤- رابعاً : ما ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : (**أبغض الناس إلى الله ثلاثة : " أي من أهل المعاصي ملحد في الحرم ،ومتبع في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريقه**).

الشاهد (ومتبع في الإسلام سنة الجاهلية) أي طالب ومريد لسنة الجاهلية في الإسلام فهو يريد أن يحييها بفعله أو قوله ، وهذا الحديث فيه ذكر شيء من فساد الدين والدنيا فقتل النفس التي حرم الله ﷻ بغير حق أعظم فساد الدنيا وذكر من فساد الدين نوعين عمل ومحل عمل ، فأما العمل فهو ابتغاء سنة الجاهلية ، وأما محل العمل فهو الحرم بالإلحاد فيه ، فهو إفساد في الدين في محل العمل .

فهذا الحديث فيه : تحذير عظيم من إحياء سنة الجاهلية فعلاً أو قولاً : **﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾** .

المسألة الثانية :

قال المؤلف رحمه الله تعالى : (الثانية : أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ وكذلك في دنياهم ويجدون ذلك هو الصواب فأتى بالاجتماع في الدين بقوله :
﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... ﴾ ... إلخ) :

المسألة الثانية من مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها النبي ﷺ أنهم متفرقون في دينهم ومتفرقون في دنياهم ، فأهل الجاهلية من أهل الكتاب " اليهود والنصارى " والأميين كانوا متفرقين في دينهم .

فأهل الكتاب كما أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله – فيما رواه أبو داود في سننه : (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين فرقة وافترقت النصارى على مثل ذلك**)فكانوا متفرقين في دينهم.

وكذلك كانوا متفرقين في دنياهم كما قال تعالى : **﴿ فألقينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾** وكما قال سبحانه : **﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾**

فكان بينهم القتال والظلم والسبي ، وكذلك الأميون فمنهم من يعبد الأشجار ومنهم من يعبد الأحجار ومنهم من يعبد الصالحين ومنهم

من يعبد الجن ومنهم من يعبد النار .

فالأميون : وهم الذين ليسوا من أهل الكتاب : الذين لم يترل عليهم كتاب .

والمجوس في أصح قولي العلماء من الأميين وليسوا من أهل الكتاب لقوله تعالى : **﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾** وهم طائفتا اليهود والنصارى .

وأما ما روى عن علي ﷺ أنه قال : (**كان لهم كتاب ثم رفع**) فالأثر قد ضعفه جماعة من الحفاظ كما حكى ذلك ابن القيم – رحمه الله – .

فإذن : أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والأميون هم : من سواهم .

فالأميون أيضاً كانوا متفرقين في دينهم كما تقدم فمنهم من يعبد الصالحين ومنهم من يعبد الجن ومنهم من يعبد النار وهكذا وكل طائفة منهم تنكر على الأخرى ويستحسن ما هو عليه ولذا قال تعالى : **﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾** فكل فرح بما عنده معجب به مستحسن له ، وهم متفرقون في دنياهم يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ، ومن قرأ التاريخ تبين له ذلك بظهور ووضوح .

فإذن من مسائل الجاهلية : التفرق في الدين والتفرق في الدنيا .

قوله : (**فأتى بالاجتماع في الدين .... الخ**) :

أي أتى الإسلام بالاجتماع في الدين بقوله تعالى : **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾** وهنا (أن) تفسيرية فيكون ما بعدها مفسراً لما قبلها .

فقوله : **﴿ أن أقيموا الدين ﴾** تفسير للوصية المذكورة فوصية الله تعالى إلى أنبيائه ووحيه إلى رسوله ﷺ إقامة الدين والنهي عن التفرق فيه .

وقال أيضاً : **﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾** .

قوله :(ونهانا عن مشابهتهم بقوله:﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾):

فهم تفرقوا واختلفوا في دين الله ﴿ من بعد ما جاءهم البينات ﴾ أي من بعد ما جاءهم الحجج والبراهين من الله تعالى بالحق فتركوا الحق بغياً وتركوه اتباعاً للأهواء .

قوله : (**ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾**) :

فالتفرق المنهي عنه في هذه الآية هو التفرق في الدنيا لأن هذه الآية في معرض امتنان الله – سبحانه – على عباده المؤمنين من الأوس والخزرج فقال سبحانه : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** ﴾ فهذا نهي عن التفرق في الدنيا .

وإن من أعظم أسباب التفرق في الدنيا : التفرق في الدين ولذا قال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً** ﴾ ثم قال ﴿ **ولا تفرقوا** ﴾ .

كما أن الإعراض عما جاء به الوحي : من أسباب التفرق في الدنيا ولذا قال تعالى : ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾ وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها كما تقدم في الحديث المتفق عليه وهكذا هنا فإن الأمة قد اتبعت هدي الجاهلية وسنتها في هذه المسألة فتفرقوا في دين الله ﷻ شيعاً وأحزاباً كما قال صلوات الله وسلامه عليه: (**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**) هذا من حيث التفرق في الدين .

و لم يزل إلى عصرنا هذا : هذا التفرق ، فما زالت كثير من الفرق بل كل الفرق أو أكثرها مازالت آثارها باقية والتفرق مازال موجوداً بسبب ذلك ، وظهرت أيضاً الجماعات الإسلامية التي تتبنى بعض تلك المذاهب وبقي أيضاً

التفرق في الدين بسبب ذلك .

وأما التفرق في الدنيا فهذا ظاهر أيضاً كالتفرق في القوميات والتفرق في البلدان فانقسمت البلد الإسلامية إلى دويلات كثيرة تتناحر في كثير من الأحيان ويقتل بعضها بعضاً وهذا كله من اتباع سنة الجاهلية .

المسألة الثالثة :

أن من مسائل أهل الجاهلية أنهم كانوا يخالفون ولاة الأمر ولا ينقادون لهم ويرون ذلك فضيلة وهذا في منظورهم فكانوا لا ينقادون للملك ولا يرضون أن يسمعوا ويطيعوا للإمام ويرون أن السمع والطاعة ذل ومهانة كما هو مشهور في أشعارهم ولذا قال المؤلف رحمه الله : (**والسمع والطاعة ذل ومهانة**) فهذه هي سنة الأميين وهو كذلك من سنة أهل الكتاب .

أما الأميون : فيدل عليه ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإن من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية**) .

فقوله : (مات ميتة جاهلية) : يدل على أن موت أهل الجاهلية على ذلك أي على الفوضى كما ذكر هذا ابن حجر والنووي وغيرهما أي : على موتهم من أنهم يموتون ولا إمام لهم .

أما أهل الكتاب : فقال تعالى : **﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم ﴾** .

وقال أيضاً : **﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾** .

فإذن : من سنة الكفار من الأميين وأهل الكتاب أنهم لا يدينون الإمام بالطاعة بل يرون أن الواجب عليهم أن يكونوا فوضى لا إمام لهم وأنهم متى خضعوا لإمام فإن ذلك هو الذل والمهانة .

قوله : (فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد) :

فالأحاديث في ذلك عن النبي ﷺ متواترة وكان على ذلك بيعة الناس ففي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال (**بايَعَنا رسول الله ﷺ أو بايَعْنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أَثَرة علينا " أي : وإن اختصوا بشيء من المال أو الحقوق " وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

قوله:(وهذه الثلاث هي التي جمع بينها فيما صح عنه في الصحيحين أنه قال : (إن الله يرضى ..)):

أي هذه الثلاث المسائل التي ذكرناها جمع بينها النبي ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين .

كذا قال – رحمه الله – وهو إنما رواه الإمام مسلم فقط ولفظه : (**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**) .

فهنا جمع النبي ﷺ بين هذه الثلاث :

١– أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .

٢– وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .

وبهذه الثلاث يكون قيام الدين والدنيا ولذا قال – رحمه الله – :

(ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها) :

فإذا أخلوا بهذه الثلاث جميعاً أو أخلوا بواحدة منها كأن لا يسمعوا ولا يطيعوا للإمام أو أن يتفرقوا في دينهم ودنياهم أو أن يعبدوا غير الله عز وجل فإن ذلك يكون فيه الخلل أيضاً .

وهذه المسألة اقتدت طوائف من الأمة الإسلامية بأهل الجاهلية فيها فظهرت طائفة الخوارج التي ترى الخروج على الولاة إذا جاروا .

ومن طوائفها في العصر الحديث : طائفة التكفير والهجرة .

ومن مظاهر اتباع سنة الجاهلية في العصر : الوقوع في الولاة وذكر مثالبهم مما هو وسيلة إلى الخروج عليهم فهو من اتباع أهل الجاهلية في هذا الباب .

ومن ذلك أيضاً وجود جماعة إسلامية في بلد يحكمها حاكم مسلم فإن ذلك أيضاً من اتباع سنة الجاهلية ، والمراد بذلك أن تكون الجماعة لها أمير يسمع له ويطاع كما يسمع ويطاع للإمام ، فهذا فيه افتيات عظيم على حق الإمام ولذا فإن النبي ﷺ كما ثبت في الصحيحين : (**لما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما قال لهما : يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**) أي ليكن التطاوع بينكم فإذا رأيت الحق معه فأتبعه عليه وإذا رأى الحق معك فليتبعك عليه وهكذا تكون الجماعات في البلاد التي لها إمام يكون بينهم تطاوع لا طاعة بمعنى : إذا رأيت مع أخيك الداعية أو مع أخيك طالب العلم حقاً فإنك تتبعه للحق الذي معه ولا تكون له طاعة مطلقة .

وبهذا يفرق بين إقامة الهيئات العلمية والدعوية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخيرية وبين إقامة جماعة إسلامية لها إمام يسمع له ويطاع فتلك تطاوعية من باب التعاون على البر والتقوى ويطيع بعضهم بعضاً في الحق فليس لأحد منهم طاعة مطلقة لطاعة الإمام بل له طاعة مقيدة بالحق .

وهذا كما تقدم من مظاهر اتباع سنة الجاهلية لأنهم لم يسمعوا ويطيعوا للإمام بل اختاروا من أنفسهم شخصاً آخر يسمعون له ويطيعون فهذه المسائل الثلاث من أعظم المسائل ولذا جمعها النبي ﷺ في الحديث الذي تقدم ذكره .

المسألة الرابعة :

بيّن المؤلف – رحمه الله – في هذه المسألة : أن أعظم أصل لأهل الجاهلية من الأميين وأهل الكتاب هو التقليد .

والتقليد أصطلاحاً : أخذ قول الغير بلا حجة ولا برهان ، مأخوذ من القلادة التي تحيط بالعنق .

فالتقليد أن تتبع من لا يجب عليك اتباعه بلا برهان من الله تعالى .

فأما أهل الكتاب فقال تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ الشاهد : ﴿ **يضاهئون قول الذين كفروا من قبل** ﴾ فهو تقليد.

وقال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا الله وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون** ﴾ .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**لو آمن بي عشرة من اليهود**) قال الحافظ : أي من رؤوسائهم (**لامنت بي اليهود**) فيخبر أن مبنى دين اليهود على التقليد .

وأما الأميين : فمن أدلة ذلك ما ذكره الإمام – رحمه الله – بقوله : قال تعالى : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير** ﴾ .

وقال تعالى عن قريش : ﴿ **ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق** ﴾ وهذا أيضاً من التقليد للملة الآخرة وهي ملة النصارى .

وفي الصحيحين : (**أن النبي ﷺ لما أتى أبا طالب ...**) الحديث وفيه : أن **أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية قالا لأبي طالب : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ الحديث وفيه : أنه قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول : لا إله إلا الله**) وهذا أيضاً من التقليد .

ومن هنا يتبين أن مبنى دينهم على التقليد فهم لا يتفكرون في الأدلة ولا ينظرون فيما جاءت به الرسل بل يتبعون

آباءهم ويتبعون رؤوسائهم فذمَّ الله ﷻ ذلك وبين خطره .

كما قال الإمام رحمه الله في الأدلة الدالة على النهي عن التقليد :

(**فأتاهم بقوله : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴾**) :

فأتاهم الله بقوله : ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة** ﴾ أي بخصلة واحدة وهي : ﴿ **أن تقوموا لله مثنى وفرادى** ﴾ أي أن يتفكر كل واحد منكم في نفسه خاصة منفرداً عن غيره وأن يستشير غيره أيضاً : ﴿ **ثم تتفكروا** ﴾ بما جاء به الرسول ﷺ وأنه ليس به جنة : أي جنون وإنما هو نذير مبين .

قوله : (وقال : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون** ﴾) :

﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ وهو : الوحي .

فيأمر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة باتباع ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي وأن لا يتخذوا من دونه أولياء ، قال القرطبي : دلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص .

وكذلك الله سبحانه بيّن ما يكون في الآخرة من براءة المتبعين من التابعين فقال سبحانه : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبُّعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ .

وحينئذ فتنقلب تلك المودة في قلوب التابعين وتلك المحبة إلى بغضاء ولذا قال الله سبحانه : ﴿ **وقالت أخراهم**

" **التابعون** " **لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذاباً ضعفاً من النار** ﴾ وفي آية أخرى : ﴿ **ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** ﴾ فتنقلب تلك المودة والمحبة التي في قلوبهم إلى بغضاء وإلى عداوة وهذا كله تحذير عظيم من التقليد .

والأمة المحمدية كما تقدم في القاعدة السابقة في قول النبي ﷺ : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم ...**) الحديث الأمة المحمدية تتبع سنن من قبلها من الأمم وهذا التقليد ظاهر في الأمة فهو ظاهر في باب الاعتقاد وفي باب المسائل العملية .

فأهل البدع في الاعتقاد يقلدون أكابرهم ورؤسائهم ولا ينظرون فيما جاءت به الرسل وكذلك المتعصبون من الفقهاء الذين لا يجيزون الخروج عن مذهب إمامهم أو الخروج عن المذاهب الأربعة فهم كذلك ، فهم لا ينظرون فيما جاء به النبي ﷺ من الأدلة بل يقصرون النظر إلى فهم مقالات أئمتهم وينهون الناس عن مخالفة ذلك ومن ثم حصل لكثير من الأئمة الذين خرجوا عن تلك المذاهب في مسائل حصل لهم ابتلاء كبير كما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم من أهل العلم .

وكذلك في باب الاعتقاد وفي باب السلوك فالتقليد فيه ظاهر في هذه الأمة فالمتصوفة مثلاً من أعظم أصولهم بل هو أعظمها : التقليد فإن المريد عندهم لا يحل له أن يقول للشيخ : لِمَ ولا أن يقول له : لا كما يصرحون بذلك بل يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله ، أي بين يدي شيخه فالشيخ عندهم معصوم فلا يعارض .

وكذلك عند الرافضة أيضاً الذين يعتقدون العصمة في أئمتهم وأنهم لا يخطئون وأن ما يقررونه هو عين الصواب فهذه الأمثلة وغيرها كثير فيمن ينتسب إلى هذه الأمة ظاهر فيهم التقليد جداً فلا شك أن الأمة قد

اتبعت طوائف كثيرة منها سنن من قبلها من الأمم في هذا الباب العظيم وهو باب التقليد ، والرافضة أوجبوا تقليد أئمتهم ليروهم حجة ناطقة وأنهم معصمون كالأنبياء ، وذكر الاحصائيات التي تدل على أنهم الأكثر .

المسألة الخامسة :

يبين الإمام – رحمه الله تعالى – أن من أكبر قواعدهم : الاغترار بالكثرة فيحتجون على صحة الشيء بهذه الكثرة ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله فالميزان عندهم على صحة الشيء وبطلانه هو موافقة الأكثر فإن كان الأكثر على هذا القول فهو الحق وإن كان الأقل عليه فهو الباطل وإن كانت الأدلة الشرعية تدل على خلاف ذلك ، ولذا رموا الإمام محمد وغيره من الأئمة رموهم بالشذوذ ومخالفة الأكثر . واستدلوا بذلك على بطلان دعوقم فقالوا : لو كانت دعوتكم صادقة لكانت الجماعة عليها ولكان السواد الأعظم عليها ولكانت الكثرة الكاثرة من الناس عليها ولا شك أن هذا باطل ولذا قال الشيخ – رحمه الله – :

قوله : (فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن) :

فهو أولاً من دينهم ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً** ﴾ فالله ﷻ قد رضي عنا فأكثرَ أولادَنا وأموالَنا وهذا يدل على أننا على الحق .

وقال تعالى عنهم : ﴿ **أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر** ﴾ فكيف نتبع بشراً واحداً متفرداً أو معه شرذمة قليلة من الناس .

وقال تعالى عن فرعون في رده لدعوة موسى ومن معه : ﴿ **إن هؤلاء لشرذمة قليلون** ﴾ فكانوا يغترون بالكثرة ويحكمون على الشيء صحة أو بطلاناً بكثرة أتباعه فأوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أن ذلك :

١- باطل كما قال تعالى : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ .

٢- وقال تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

٣- وقال تعالى : ﴿ **ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين** ﴾ .

٤- وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ...**) الحديث .

ولا يمكن أن يحكم على النبي بأنه ضال في طريقته لكونه لم يتبعه أحد أو لكونه اتبعه الرجل أو الرجلان أو لم يتبعه إلا الرهط .

٥- وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**) .

وهذا الميزان أيضاً : ظاهر في الأمة كما وجد في الأمم السابقة فيحكم على الداعية إلى الحق الذي يدعو إلى ما كان عليه السلف الصالح – كما كانت عليه دعوة الإمام محمد رحمه الله تعالى – يحكمون عليه بأنه شاذ وأنه ليس معه أحد أو إلا طائفة قليلة من الناس وأن أكثر الأمة على خلاف قوله ويغضون النظر عما معه من الأدلة ، وهكذا أيضاً فيما يسمى بالبرلمانات وما يدخل في الديمقراطية فإنهم يحكمون بالأكثر فمن كان أكثر صوتاً حكم بقوله وهذا أيضاً من هذا الباب .

فالمقصود : أن الحكم بالشيء صحةً أو فساداً ميزانه في الشرع هو الدليل وليس النظر في الأكثرية وأن النظر في الأكثرية يعتبر ميزاناً جاهلياً .

لم يكن على عهد أسلافهم ولا عرفوه منهم : ﴿ **إن هذا إلا خلق الأولين** ﴾ ، ﴿ **أفلم يدبروا القرآن أم جاءهم ما لم يأت أحد الأولين** ﴾ .

المسألة السادسة :

وهي الاحتجاج بالمتقدمين كقوله تعالى عن فرعون : ﴿ **فما بال القرون الأولى** ﴾ أي فما شأن القرون الأولى لم تعبد الله ﷻ و لم تكن على ما تدعوه إليه .

فإذن احتج بالمتقدمين فجعل أقوال وأعمال المتقدمين حجة ، وهذا من باب الاستدلال على التقليد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** ﴾ أي : هذا لم يكن فيمن سلف من آبائنا الأولين فنحن لا نعرفه عنهم وبالتالي هو باطل فما دام ليس هذا معروفاً عند المتقدمين فهو باطل .

وهذا أيضاً : ظاهر في هذه الأمة من احتجاج المبتدعة بأقوال المتقدمين فيقولون هذا هو قول المتقدمين ممن يؤخذ عنهم العلم ونحو ذلك من الألفاظ ولا شك أنهم لو رجعوا إلى المتقدمين الذين هم السلف الصالح لعرفوا الحق ولكنهم متقدمون في نظرهم فيتبعون من تقدم من علمائهم ومن رؤوسائهم .

وهذا أيضاً : يقع عند بعض العوام فإذا دعي إلى سنة وأظهر بعض دعاة السنة شيئاً من السنن المندثرة فإنه يحتج بأن هذه ليست بسنة فإن من أدركه من الناس لم يكونوا على ذلك فيرد ما ثبت عن النبي ﷺ من السنن بأن المتقدمين الذين هم متقدمون عنده لم يكونوا على هذا .

وهذا أيضاً من مسائل الجاهلية وحينئذ فيغض نظره عن النظر إلى ما جاء به الرسول ﷺ ويقصر نظره إلى فعل المتقدمين فيجعل فعل المتقدمين هو الحاكم على ما جاء به النبي ﷺ .

المسألة السابعة :

يبين الإمام – رحمه الله تعالى – في هذه المسألة : أن أهل الجاهلية كانوا يستدلون على أن هذا حق وهذا باطل بأهل الأفهام والأعمال وأهل الملك والمال والجاه .

فالحق عندهم هو ما كان عليه أهل الفهوم والجاه والمترلة فيحكمون على الحق بأتباعه فإن كان أتباعه هم هؤلاء كان حقاً وإن كان من سواهم فهو الباطل كما قال تعالى : **﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾** فاستدلوا على أن ما هم عليه هو الحق بأهم خير مقاماً وأحسن ندياً ، وقال تعالى : **﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾** وقال تعالى عن كفار قريش : **﴿ وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾** لو كان هذا القرآن أنزل على رجل عظيم من إحدى القريتين وهما مكة والطائف فيستدلون على أنه ليس بحق لأنه لم يترل على أحد ذي جاه وشرف وملك فأبطل الله ﷻ بقوله : **﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدهم من شيء ﴾** فهؤلاء القوم – وهم قوم عاد – مكنهم الله ﷻ في الأرض فجعل لهم قوة في الأبدان وجعل لهم كثرة في الأموال وجعل لهم سلطة وسيطرة في الأرض لم يمكن الله سبحانه كفار قريش ولا غيرهم بمثل ذلك : **﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾** أي فيما لم نمكنكم فيه : **﴿ وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴾** فلهم آلات يدركون بها الحق أتم الإدراك فلهم سمع وبصر وقلوب يتميزون بها ومع ذلك فإن هذا لم يغن عنهم شيئاً فضلوا عن سواء السبيل – والعياذ بالله – قال تعالى : **﴿ فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾** هذا في ثمود وكذلك في عاد وفي غيرهم من الأمم .

وكذلك قوله تعالى عمن أوتي علوماً من أهل الكتاب : **﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾** كانوا أي اليهود يستنصرون بالنبي الذي سيبعث وأنه سيبعث نبي ويستنصرون به على الأميين وأنا سنقاتلكم معه وسنقتلكم قتل عاد : **﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾** .

فإذن : هم كانوا يعلمون أنه نبي فعلومهم وفهومهم أوصلتهم إلى ذلك ولكن مع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئاً فلم يتبعوا الحق فصاحب العلم وصاحب الفهم قد يدرك الحق ولكن هواه يمنعه من قبوله واتباعه .

وكذلك قوله تعالى عنهم : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ فهم يعرفون النبي ﷺ ويعرفون صدقه وأنه نبي من الله ﷻ كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك فإن ذلك لم ينفعهم شيئاً وهذه المسألة كما أنها في الأمم السابقة فكذلك هي في الأمة المحمدية ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – في أهل المقالات المبتدعة – : (أوتوا ذكاءً و لم يؤتوا زكاءً ، وأوتوا فهوماً و لم يؤتوا علوماً) .

فإنهم كانوا أهل ذكاء أوتوا سمعاً وأبصاراً وقلوباً ومع ذلك لم يهتدوا بهدى الله ﷻ الذي بعث به رسله .

وكذلك من مظاهر هذه المسألة في هذه الأمة أن الرجل إذا قال بالحق وكان أحد من أهل المكانة والمنزلة يخالفه في ذلك فإنهم يحتجون على بطلان قوله بقول صاحب هذه المنزلة .

فمثلاً : إذا خالفت أحداً من الأئمة في قول من الأقوال فخالفت مثلاً مذهب الإمام أحمد رحمه الله وأنت في بلاد الحنابلة أو خالفت مذهب أبي حنيفة وأنت في بلاد الحنفية فإن هؤلاء يحتجون عليك بقولهم : الإمام أحمد لا يقول بهذا أو أبو حنيفة لا يقول بهذا فيحتجون عليك بقول هذا القائل صاحب هذه المنزلة العظيمة سواء أكانت هذه المنزلة منزلة صحيحة أو كانت منزلة باطلة ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أخشى أن تنزل عليكم صاعقة من السماء أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر) .

المسألة الثامنة :

هذه المسألة فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يستدلون على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء من الناس وسفلة القوم من أهل الصناعات الرديئة والعبيد والموالي وغيرهم .

فيستدلون بهذا على بطلان الحق كما قال تعالى عنهم : ﴿ **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾

وكقوله سبحانه : ﴿ **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي** ﴾ وكقوله : ﴿ **أهؤلاء** – أي الأصاغر– **مَنّ الله عليهم من بيننا** ﴾ فيستدلون على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء وأنه لو كان حقاً لاتبعه أكابر الناس من أهل الأموال وأهل الجاه وأهل الملك والمنزلة فرد الله ﷻ قولهم بقوله سبحانه : ﴿ **أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ فالله ﷻ يعلم الشاكر ويعلم الذي يشكره فيوفقه الله سبحانه ويهديه ، ويعلم الذي يكفر بربه ويعرض عما جاءت به الرسل فلا يوفقه الله ولا يهديه .

فليس الميزان في معرفة الحق أن ينظر إلى أتباعه أهم الضعفاء أم الأقوياء بل الميزان في ذلك : هو معرفة الدليل والتأمل والتفكر في هذا الشيء فإن كان حقاً فإنه يقبل وإن اتبعه أراذل القوم وسفلتهم وإن كان باطلاً فإنه

يرد وإن كان عليه أكابر الناس وهذه المسألة أيضاً من مظاهرها : ما يرمي أعداء الدعوة التي قام بها الإمام محمد – رحمه الله – بأن هذه الدعوة لم يتبعها إلا جفاة الناس و لم يتبعها إلا الأعراب الذين ليس عندهم معرفة ولا فهم ولا عقول فهم الذين يتبعون هذه الدعوة ، وأما نحن - هكذا يقولون عن أنفسهم – أصحاب العقول والفهوم فإن هذا باطل عندنا

فيقولون : هذا الحق الذي تميز به أهل نجد بسبب دعوة الإمام رحمه الله هذا باطل بدليل أنهم جفاة أهل وبداوة ومثلهم ليس له فهم كامل فيردون الحق بمثل ذلك .

المسألة التاسعة :

ومن مسائل الجاهلية أيضاً : الاقتداء بفسقة العلماء والعباد كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله** ﴾ فهم فساق لأكلهم الباطل وصدهم عن سبيل الله .

الأحبار : علماء أهل الكتاب ، الرهبان : هم عبادهم .

ومعنى الآية : أي فلا تقتدوا بهم ولا بأمثالهم ، فهذا الخبر من الله ﷻ على وجه الذم لئلا يقتدى بهم ولا يقتدى بهداهم فهم علماء فسقة وعباد فسقة فلا يقتدى بهم ولا بأمثالهم كذلك قوله تعالى : ﴿ **لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل** ﴾ فهم فساق فهذا خبر من الله ﷻ بفسقهم ﴿ **وأضلوا كثيراً** ﴾ فهم قد ضلوا وأضلوا ﴿ **وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ فإذن : هم فساق مضلون .

فمن مسائل أهل الجاهلية : إتباع العلماء والعباد الفسقة وكذلك في هذه الأمة وقد قال النبي ﷺ : (**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأفتوا فضلوا وأضلوا**) ومن الناس من يقتدي – في هذه الأمة – بفساق العلماء الذين يفتون بغير علم ويتبعون الرخص – أي رخص العلماء – وهو ظاهر أيضاً في إتباع فساق العباد كما يقع هذا للمتصوفة الذين يقتدون بالعباد الفسقة الذين يأتون الفواحش ولا يحرمون ما حرم الله ﷻ ورسوله بل يأتون ما اشتهوه من المحرمات فهم فساق ومع ذلك فإنهم بمنزلة الأولياء عند أتباعهم .

المسألة العاشرة :

من مسائل الجاهلية : أنهم يستدلون على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم – كما زعموا – كما قال تعالى عن قوم صالح : ﴿ **إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين** ﴾

وكما قال تعالى عن كفار قريش : **﴿ أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾** وكذلك هنا : **﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾** أي : أنهم لا يتأملون ويتروون بل يتعجلون فيأخذون المسألة على ظاهرها بلا تعقل ولا نظر فهم يتبعونك أيها النبي بادي الرأي في رأي لا يتأملونه ولا يتدبرونه ولا يتعمقون في النظر إليه فهم ليست لهم فهوم يتأملون بها .

وهذا ادعاء منهم وكذب على أتباع الرسل .

وهذا كما تقدم فيما ترمى به دعوة الإمام محمد رحمه الله ويرمى بذلك أتباعه بأنهم جفاة قليلو الأفهام – كما تقدم –

وسيأتي ذلك اليوم الذي يعترفون فيه على أنفسهم بأنهم قليلو الفهم كما قال تعالى : **﴿ وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾** فدل على أنهم هم في الحقيقة قليلو الأفهام ، أو : أن لهم أفهاماً ولكنها لم تغنهم ولا تنفعهم شيئاً كما تقدم في حكاية الله ﷻ عن قوم ثمود .

ومن ذلك وصف علماء السنة أنهم همج ونحو ذلك .

المسألة الحادية عشرة والثانية عشرة :

ذكر الإمام – رحمه الله – في هاتين المسألتين : الاستدلال بالقياس وأن أهل الجاهلية كانوا يستدلون بالقياس إثباتاً حيث كان في ذلك هوى لهم فيستدلون به وهو قياس فاسد حيث كانوا يهوون ذلك .

وينفون القياس الصحيح الذي يدل على بطلان ما هم عليه .

قال المؤلف رحمه الله : (والجامع لهذا وما قبله : عدم فهم الجامع والفارق) :

أي الجامع لهاتين المسألتين هو عدم فهم الجامع وهو العلة ولا يصح القياس إلا بجامع وهو العلة وكذلك لا يصح القياس إلا مع نفي الفارق .

وهؤلاء يستدلون بالقياس الفاسد ويتركون القياس الصحيح فهم يجمعون بين المختلفات في الحكم ويفرقون بين المتماثلات .

ومن ذلك ما ذكره الله سبحانه عنهم : **﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾** فاستدلوا على بطلان النبوة بأن الأنبياء بشر وعليه فليسوا أنبياء فكما أننا بشر وهذا بشر فهم ليسوا بأنبياء لأننا لسنا أنبياء بجامع البشرية .

وقال تعالى : في إبطال قولهم على لسان رسله:**﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده ﴾** فبينوا الفارق فقياس الكفار قياس مع الفارق والله ﷻ يمن على من يشاء من عباده بالنبوة ويصطفي من يشاء ويختار : **﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾** .

وقال تعالى : ﴿ **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ فكونهم يوحى إليهم وهم بشر هذا لا ينافي النبوة نعم هم بشر ولكنهم قد من الله عليهم بالنبوة فاصطفاهم الله ﷻ واختارهم وامتن عليهم سبحانه وعلى البشرية جمعاء بهذه المنة العظيمة – وهذه المنة العظيمة وهي النبوة لا تنافي بشريتهم .

ومن ذلك أيضاً : قياسهم الشفاعة عند الله تعالى على الشفاعة عند الخلق فقالوا في أصنامهم : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وقال سبحانه عنهم : ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ وهذا من باب القياس فهم يعتادون أن الرجل ذا المنصب والقيمة يأتي الملك أو الرئيس فيشفع عنده لمن شاء هذا أمر معتاد معروف عندهم فقاسوا ذلك على الله ﷻ كما أن الرجل ذا الجاه يذهب إلى الملك فيشفع عنده فكذلك هذه الآلهة تشفع عند الله تعالى .

وهذا – كما تقدم – من القياس الفاسد .

ومن ذلك أيضاً : أنهم قاسوا الربا على البيع فقال الله عنهم : ﴿ **وقالوا : إنما البيع مثل الربا** ﴾ والجامع عندهم : المعاوضة المالية .

فكما أن هذا فيه معاوضة مالية فكذلك الربا فهو يلحق بالبيع .

وقاسوا أيضاً : حل الميتة على حل المذبوحة فقالوا : كما أن المذبوحة حلال التي نذبحها بأيدينا فكذلك الميتة التي يرهق روحها ويذبحها الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ قالوا كيف تحرمون ما أزهق الله روحه وتحلون ما أزهقتم أنتم روحه ونسوا الفارق : وهو احتباس الدم النجس المضر وأن المذبوحة يخرج منها هذا الدم الفاسد المضر بالأبدان فهذا شيء من أقيستهم الباطلة

كما أنهم تركوا القياس الصحيح ومن ذلك .

أنهم : أبطلوا قياس إعادة الأبدان في الآخرة على خلق الله عز وجل لها في الدنيا فأبطلوا هذا القياس قال تعالى مثبتاً له : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ قالوا هم : لا يقاس إعادة الخلق في الآخرة على إنشائه في الدنيا ولا شك أن قياس إعادة خلق الله لهم في الآخرة على خلقه لهم في الدنيا من أظهر القياس وأبينه ومع ذلك فإنهم أبطلوه .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ وهذا فيه إبطال عبادة النصارى لعيسى عليه السلام فإنهم لم يعبدوا آدم عليه السلام مع أنه خلق كما خلق عيسى فإما أن يُعبدوا جميعاً أو تُترك عبادتهم جميعاً وهو الحق .

ومن ذلك أيضاً : أن الله ﷻ قاس قدرته على إعادة خلق الأبدان في الآخرة على قدرته على خلق السماوات والأرض بجامع القدرة على كل شيء قال تعالى : **﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾** وهم نفوا ذلك فأبطلوا هذا القياس الصحيح الظاهر .

فإذن : من مسائل أهل الجاهلية : الاستدلال بالقياس الفاسد الباطل وترك الاستدلال بالقياس الصحيح ولذا قال تعالى في كتابه الكريم أيضاً : **﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾** ضرب الأقيسة الفاسدة الباطلة ونسي الأقيسة الصحيحة ومنها نفسه كيف أنه خلق فكما أن الله خلقه من ماء الرجال فكذلك قادر ﷻ على أن يعيد خلقه مرة أخرى .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة الإسلامية والشريعة الإسلامية قد أثبتت القياس كما قال تعالى : **﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾** وكما صح في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قاس كما في قوله عليه السلام : (**أرأيت لو تمضمضت**) لما سُئل عن قبلة الصائم فقاس ذلك على المضمضة ، والأحاديث في ذلك كثيرة وعليه إجماع السلف الصالح .

فأبطل الله ﷻ تركهم للقياس الصحيح وأبطل الله استدلالهم بالقياس الفاسد .

ومن مظاهرها في الأمة الإسلامية : أنهم قاسوا النبي ﷺ بعد وفاته عليه السلام في حياته في الاستغفار عنده والتوسل بدعائه فقالوا : يجوز لك أن تتوسل بدعاء النبي ﷺ وهو ميت وأن تستغفر الله ﷻ عنده واستدلوا بقول الله تعالى : **﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾** فاستدلوا بما دلت الأدلة الشرعية على نفيه وهي خاصة في حياته عليه الصلاة والسلام فاستدلوا بها على ما بعد موته .

واستدلوا أيضاً بجواز التبرك بالصالحين على جواز التبرك عليه الصلاة والسلام وهو قياس مع الفارق .

واستدلوا على جواز التمسح بالقبور الذي هو من أعظم وسائل الشرك بجواز التمسح بالحجر الأسود .

ومن أقيستهم الباطلة أيضاً : أنهم قاسوا الله ﷻ على خلقه فأثبتوا لله ﷻ الصفات على وجه يشابه صفات المخلوقين – فأثبتوا ذلك في أذهانهم أولاً ثم نفوه ثانياً – وهذا في المعطلة فإذا أتوا إلى قوله تعالى : **﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾** قالوا : ليس ثمت وجه إلا ما يكون مشبهاً لوجوه المخلوقين فاستقر هذا في قلوبهم أولاً ثم نفوه ثانياً فقالوا : إذن ننفي الوجه ويكون المراد بالوجه الذات – وهكذا صفة اليد وفي سائر الصفات فمثلوا أولاً ثم عطلوا ثانياً وهذا في المعطلة .

وأما في المشبهة فظاهر فقد شبهوا الله تعالى بخلقه والله ﷻ يقول : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

والأمثلة في هذا كثيرة وكثيرة جداً .

المسألة الثالثة عشر :

هذه المسألة بيَّن فيها الإمام – رحمه الله – أن من مسائل أهل الجاهلية : الغلو في العلماء والصالحين و (الغلو) هو مجاوزة الحد .

والغلو في الدين غلو في الاعتقاد وغلو في العمل .

ومن ذلك الغلو في العلماء والصالحين وهؤلاء لهم منزلة وقدر في الشرع فإذا تجاوز العبد في ذلك كان قد غلا في دينه .

والغلو في العلماء والصالحين من سنة أهل الجاهلية قال تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ وقال تعالى عن اليهود والنصارى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ الآيتين تدلان على غلوهم فالأحبار هم العلماء والرهبان هم العباد .

ومن الأميين : ما ذكره الله عن قوم نوح من أنهم اتخذوا وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا وعظموهم من دون الله حتى عبدوهم كما قال تعالى : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً** ﴾ وكذلك في مشركي العرب فاللات كما تقدم كان رجلاً صالحاً يلت السويق فغلوا فيه فعبدوه من دون الله تعالى .

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال كما في البخاري : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) .

وفي مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وابن ماجه بإسناد صحيح : (**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**) .

وقال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) متفق عليه .

وهذه المسألة ظهرت في طوائف من الأمة الإسلامية كما يقع هذا من الرافضة والمتصوفة وغيرهم فالرافضة يعظمون أئمتهم ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب وأنهم يتصرفون في الكون وغير هذا ، وهذا غلو إذ هذه الأفعال من خصائص الله تعالى وكذا المتصوفة الذين يعتقدون في مشايخ الطرق نحو ذلك من اعتقادهم أنهم يتصرفون في الكون وأنهم يعلمون الغيب وغير ذلك مما هو غلو في الدين والأمثلة في هذا كثيرة وهذا شيء منها : **﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه ﴾** .

المسألة الرابعة عشر :

فيها أن قاعدة أهل الجاهلية النفي والإثبات وهي أنهم يتبعون الهوى والظن في الإثبات ، يعرضون عما آتاهم الله من الآيات البينات .

قال تعالى : **﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾** فهم أعرضوا عن الهدى واتبعوا الظن والأهواء .

والهدى : هو ما تميل إليه النفس من غير داعي الشرع فلا دليل عليه ولكن النفس تميل إليه وترغب به سواء أكان من العقائد أو الأقوال .

وقال تعالى : **﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾** وقال : **﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾** والآيات في ذلك كثيرة .

واتباع الأهواء والظنون الفاسدة هو أصل الضلال كما قال ذلك شيخ الإسلام رحمه الله : (أصل الضلالة : إتباع الظن والهوى) أ . هـ .

ومن ثم فإن الإسلام قد خالف هذا الهدي الفاسد فقال سبحانه: **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾** .

وفي السنة لابن أبي عاصم والحديث صحيح أن النبي ﷺ قال : (**إن مما أخشى عليكم بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**) .

وهذا قد ظهر أيضاً في الأمة الإسلامية اتباعاً للأمم السابقة ومن ذلك ما يقع من المتكلمين الذين يتبعون أهواءهم وظنونهم الفاسدة في أصول الدين ويعرضون عما جاءت به الرسل في باب الأسماء والصفات وفي غيرها من الأبواب فيتبعون أهواءهم وظنونهم الفاسدة ويعرضون عما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

بل كل بدعة أصلها إتباع الهوى والظن ولذا فإن أهل السنة يسمون أهل البدع بـ(أهل الأهواء) وذلك لأن كل بدعة من البدع فإن مصدرها الهدى والظن الفاسد .

المسألة الخامسة عشر :

من عمل أهل الجاهلية أنهم يعتذرون للرسل بأنهم لا يفقهون ما تقوله الرسل فيقولون نحن لا نفقه ما تقولون ولا ندري أي شيء تتكلمون به كما قال تعالى عنهم : **﴿ قلوبنا غلف ﴾** أي قلوبنا مغلقة لا تستطيع سماع الحق وكذلك قوله عنهم : **﴿ يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ﴾** ويقولون هذا لتيئيس الرسل ولصرف أتباعهم فإن أتباعهم كما تقدم يظنون أنهم ذوو علوم وفهوم فيقولون هؤلاء الذين لهم الفهوم والعلوم لا يفقهون ما تدعوا إليه الرسل فنحن من باب أولى فيعرض أتباعهم عما جاءت به الرسل أيضاً ٠

قوله : (**فأكذبهم الله وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم والطبع بسبب كفرهم**) :

قال تعالى : **﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾** ، **﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ٠٠٠ ﴾** ٠

فإذن : الله ﷻ أبطل حجتهم وبيّن أن هذا الطبع الذي على قلوبهم أنه من الله تعالى بسبب كفرهم وإعراضهم قال تعالى : **﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾** فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم فجعلها مغلقة لا تفقه من الحق شيئاً

وقال تعالى : **﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾** .

وقال : **﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾** فالذي جعل قلوبهم مغلقة لا تفقه الحق إنما هو من عند أنفسهم فقد أعرضوا عن الحق أولاً فجازاهم الله ﷻ على ذلك أن صرف قلوبهم عنه وطبع عليها فهم لا يفقهون ٠

فمن سنة أهل الجاهلية رد الحق بأنهم لا يفقهونه ٠

وهذه ظاهرة في بعض الأمة الإسلامية ومن ذلك ما يحتج به المتفقهة المقلدة الذين يحرمون الاجتهاد في النصوص الشرعية ويوجبون التقليد فإنهم يقولون : نحن لا نفقه كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ وهذا حكم ليس فينا فحسب بل في كل المتأخرين بأنهم لا يفقهون كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ فمن ثم فيجب عليهم أن يقلدوا إماماً من الأئمة ٠

فإذن : أعرضوا عن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وقالوا : نحن لا نفقههما وأوجبوا على أنفسهم وعلى غيرهم التقليد وهذا من مظاهر ذلك ٠

والظن هو التوهم والحرس في الصحيحين : (**أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**) ٠

المسألة السادسة عشر :

هذه المسألة فيها : أن أهل الجاهلية قد اعتاضوا عما آتاهم الله تعالى من الوحي بكتب السحر فأقبلوا على كتب السحر تعلماً وتعليماً ونبذوا كتاب الله تعالى : أي طرحوه كما قال تعالى : ﴿ **نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾ فنبذوا وطرحوا كتاب الله وألقوه وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان فاعتاضوا بها كتب السحر وهي تلك الكتب والدواوين التي وضعها سليمان عليه السلام تحت كرسيه لما انتزعها من سحرة الجن فوضعها تحت كرسيه فلما أن مات عليه السلام أخبر الشياطين الناس بذلك وزعموا أن ملك سليمان كان قائماً على تلك الدواوين وأن سليمان كان ساحراً فنفى الله عن نفسه ذلك في قوله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان** ﴾ بالسحر ﴿ **ولكن الشياطين كفروا** ﴾ .

وهذه المسألة التي ذكرها الله عن أهل الكتاب هي كذلك في الأميين كما قال تعالى عن فرعون وقومه :
﴿ **وجمع السحرة لميقات يوم معلوم * وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ أي نتبع السحرة ونترك ما جاء به موسى عليه السلام .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة الإسلامية من تعلم السحر وتعليمه وكذلك نبذ الكتب السماوية ونبذ الوحي الذي أنزله الله عز وجل على رسوله عليه الصلاة والسلام ونبذ الحكمة التي هي أحاديث النبي ﷺ فطرحوا ذلك وأقبلوا على المقالات الباطلة وعلى الكتب غير النافعة .

ومن ذلك في الأمة الإسلامية ما كان من المتكلمين الذين اعتاضوا بكتب اليونان عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في أصول الدين فصاروا يأخذون العقائد وأصول الدين من كتب اليونان ويعرضون عما جاء به النبي ﷺ بل يقولون : إنه لا يفيد اليقين والأصول يجب أن تؤخذ مما يفيد اليقين أما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإنها لا تفيد اليقين فأخذوا بكتب اليونان التي ترجمت في عهد المأمون .

ومن ذلك أيضاً : اعتياض المتصوفة بأذواق شيوخهم ومواجيدهم عما جاء به النبي ﷺ فهم يتدارسون ما يقوله مشايخهم مما هو من أذواقهم ومواجيدهم ويعرضون عن سنة رسوله ﷺ .

وكذلك : ما عليه مقلدة الفقهاء الذين اعتاضوا عما جاء به النبي ﷺ من الحلال والحرام فأعرضوا عن النصوص التي في الكتاب والسنة واعتاضوا بمقالات الفقهاء واعتنوا بها حفظاً وتفهماً وأعرضوا عما جاء به رسول الله ﷺ .

وهكذا من اعتاض بالكتب الفكرية التي هي نتائج الأفكار واتخذها منهاجاً يتعامل بها مع الناس وأعرض عما سنه النبي ﷺ للناس وكان عليه السلف الصالح وأمثلة هذا كثيرة .

المسألة السابعة عشر :

فيها أن أهل الجاهلية كانوا ينسبون الباطل إلى الأنبياء فما يقولونه ، ويفعلونه من الباطل ينسبونه إلى الأنبياء وأن هذا هو دين الأنبياء قال تعالى : ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ فالسحر وهو من الباطل كانوا ينسبونه إلى سليمان عليه السلام .

وقوله : ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ فاليهود كانوا ينسبون دينهم الذي هم عليه الذي خالفوا به موسى عليه السلام ينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ولذا قال تعالى : ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً** ﴾ أي كما يزعم اليهود وكذلك النصارى كانوا يزعمون أن دينهم الذي هم عليه هو دين إبراهيم فقال تعالى : ﴿ **ولا نصرانياً** ﴾ .

وكذلك المشركون من عباد الأوثان كانوا يزعمون أن هذا من دين إبراهيم فقال تعالى : ﴿ **ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ .

وكان النصارى ينسبون ما هم عليه من عبادة عيسى عليه السلام وأمه أن ذلك بأمر من عيسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس** ﴾ أي كما يقولون : ﴿ **اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علاّم الغيوب** ﴾ فهم قد ادعوا أن ما هم عليه من عبادة المسيح وأمه الصديقة أن ذلك كان دين عيسى عليه السلام وأنه أمرهم بذلك .

ومن ذلك أن المشركين كانوا ينسبون ما هم عليه من الدين الباطل إلى إبراهيم – كما تقدم – في الآية الكريمة ومن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري : (**أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة أخرجوا له صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبأيديهما الأزلام**) وهي من باطل الكفار كما نفاه الله في قوله : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾ فقد رسموا صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبأيديهما الأزلام فقال النبي ﷺ : (**قاتلهم الله والله لقد علموا أنهما ما اقتسما بها قط**) أي ما اقتسما بالأزلام قط .

فالمقصود من ذلك أن سنة أهل الجاهلية : نسبة الباطل إلى الأنبياء ولذا فإن سنة أهل الإسلام أتت من الشارع بتحريم ذلك والنهي عنه قال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب** ﴾ وقال تعالى : ﴿

إن الذين يفترون على الله الكذب لا يعلمون ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : (**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**) ولكن بعض أهل الإسلام قد اتبعوا سنة أهل الجاهلية في هذا الباب وهذا ظاهر جداً فكل بدعة في الدين فإنها تنسب إلى النبي ﷺ فالروافض ينسبون دينهم إلى النبي ﷺ وكذا المتصوفة وكل صاحب بدعة فإنهم ينسبون بدعهم إلى النبي ﷺ فكان المشركون – اليهود والنصارى – ينسبون إليه .

المسألة الثامنة عشر :

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يتناقضون في الانتساب فينتسبون إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك أتباعه فعندهم تناقض في الانتساب .

فهم يخالفون الرسل والأنبياء في الظاهر ولكنهم يدعون أنهم ينتسبون إليه كما قال تعالى : **﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ .**

فكان عليه السلام حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وهم كانوا على الشرك في الظاهر فهم كانوا يعبدون الأنداد من دون الله ويصرفون إليه النذور والذبائح والدعاء ونحو ذلك مما هو مستحق لله عز وجل ومع ذلك فهم يقولون : نحن ننتسب إلى إبراهيم عليه السلام .

وأما هدي الإسلام فهو التحذير من ذلك ولذا قال تعالى : **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾** فأوجب إتباع النبي ﷺ وأن من أحب الله وانتسب إلى الدين فيجب عليه أن يتبع النبي ﷺ .

وقال تعالى : **﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾** فهم يقولون : آمنا وأطعنا ولكنهم مع ذلك معرضون فنفى الله الإيمان عنهم فقال : **﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾** والآيات في هذا الباب كثيرة .

وهذا أيضاً ظاهر في طوائف كثيرة من الأمة الإسلامية فهم يقولون : نحن أتباع النبي ﷺ وهم يخالفون سنته كما يظهر هذا في المتصوفة وغيرهم فهم لا يتبعون سنة النبي ﷺ ومع ذلك يدعون محبته واتباعه والانتساب إليه وهم مخالفون له في الظاهر والباطن وهذا في طوائف كثيرة .

المسألة التاسعة عشر :

فيها أن أهل الجاهلية كانوا يقدحون في المتبوع لذنب التابع كقدح اليهود في عيسى عليه السلام ، ذلك أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا يعبدونه من دون الله تعالى ولهم فيه عقائد باطلة فكان اليهود يعيبون ذلك على عيسى ويقدحون بعيسى عليه السلام بذلك الواقع من أتباعه .

ومن ذلك أيضاً : قدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ فإن اليهود والنصارى قدحوا في النبي ﷺ وفي نبوته لما يقع من بعض أتباعه من الذنوب والفواحش والبغي والظلم والخيانة وغير ذلك ، كأن يقدحوا به لفعل المتصوفة أو لفعل الرافضة أو لغير ذلك ممن ينتسب للنبي ﷺ أو لمن يقع في بعض الكبائر من أتباعه فحينئذ يقدحون في النبي ﷺ فهذا من سنة أهل الجاهلية .

ومن ذلك قولهم لنوح عليه السلام : **﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾** فأجابهم نوح عليه السلام : **﴿ وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾** ولا شك أن هذه قاعدة باطلة وميزان جاهلي وفيه الجهل والظلم فإن الأتباع يقع منهم ما يقع من الأخطاء ولا يصح أن ينسب ذلك إلى المتبوع ولذا فإن الإسلام أبطل ذلك قال تعالى : **﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾** وقال: **﴿ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾** .

وقال ﷺ كما في الترمذي وغيره : (**لا يجني جانٍ إلا على نفسه**) فلا شك أن جناية أحد من الناس لا تنسب إلى غيره ووزره لا يتحمله سواه .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة الإسلامية ، فمن ذلك من يقدح في منهج السلف الصالح بما يقع من أخطاء بعض أتباع هذا المنهج لاسيما ما يقع من سفهائهم وجهالهم من الضرر والأذية وغير ذلك فلا شك أن هذا لا يعود إلى المنهج بالخطأ فخطأ من يتبع منهج الحق خطأه لا يرجع إلى المنهج بالإبطال بل خطأه على نفسه .

وما زال المبتدعة في كل زمن يقدحون في أهل السنة والجماعة بما يقع من أخطاء سفهائهم وعصاتهم ولا شك أن هذا خطأ كبير فلا يحل أن يقدح في نبي ولا في شيخ ولا في طائفة من الناس بخطأ يقع من الأتباع بل توزن هذه الطائفة وهذا الشيخ بميزان الحق وهو ما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا يتحمل شيئاً من أوزار أتباعه .

المسألة العشرون :

فيها : أن أهل الجاهلية كان لهم اعتقاد في مخاريق السحرة وأمثالهم من الكهان وأنها من كرامات الصالحين فيقولون : من وقعت على يديه شيء من المخاريق فإن هذا دليل على صلاحه وكانوا ينسبون ذلك إلى سليمان كما نسبوه إلى سليمان عليه السلام : **﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾** الآية .

فكانوا يحكمون بالمخاريق مجردة على صلاح الأشخاص ولا ينظرون إلى صلاح صاحبها وتقواه ودينه فأبطل الله ورسوله ذلك ومن ذلك أن النبي ﷺ قال لابن صياد وقد ظهرت على يديه مخاريق : (**أخسأ فلن**

تعدو قدرك) فلم يغتر النبي ﷺ ولم يحكم بصلاحه بسبب ما وقع على يده من المخاريق وكذلك أبطل الإسلام السحر والكهانة وبين أن ذلك من المحرمات وأن من أتى كاهناً فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً .
وقد ظهرت هذه المسألة في الأمة الإسلامية كما يقع من المتصوفة الذين يحكمون لأوليائهم بالولاية لما يقع على أيديهم من مخاريق وإن كانوا يقعون في الفواحش من الزنا واللواط وشرب الخمر وغير ذلك .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتاب مشهور في هذا الباب وهو الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان وبيَّن رحمه الله في هذا الكتاب أن الحاكم في هذه المسألة هو من وقعت على يده هذه المخاريق فإن كان مؤمناً تقياً فهي كرامة وإن كان فاجراً مخالفاً للسنة فهي من أحوال الشياطين فلا تزيد صاحبها إلا ضلالاً وفساداً .

المسألة الحادية والعشرون :

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالمكاء " وهو الصفير " والتصدية " وهي الصفيق " فكانوا يجعلون ذلك من دينهم كما قال تعالى : **﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾** .
أي : إلا صفيراً وتصفيقاً وممن فسرها بذلك : ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره المشهور .
وهذا واقع من أهل الكتاب كما وقع من الأميين فإنهم اتخذوا المزامير ديناً يتعبدون لله بها وقد حذر الإسلام من ذلك وأبطله ونهى عنه والأدلة في تحريم الغناء والمزامير كثيرة وهذه الخصلة التي هي من خصال أهل الجاهلية قد ظهرت في المتصوفة الذين يتخذون السماع والأصوات المنكرة والمزامير يتخذونها ديناً فيتعبدون الله بهذه الأصوات المنكرة وهذا مشهور في دينهم كما يوجد هذا في الموالد وفي غيرها من احتفالات المتصوفة .
ومن ذلك اتخاذ الأناشيد ديناً كمن يتخذها لإصلاح القلوب وللتزهيد في الدنيا وللترغيب في الآخرة فهذا من جنس فعل المتصوفة .
أما من يفعلها في وقت تعب وعمل فيروح عن نفسه فينشد بعض الشعر ويلحنه ويحسن صوته في وقت عمل ونحو ذلك فيقصد منه ترويح النفس وهذا هو الذي وقع من بعض الصحابة ﷺ ، وأما أن تحسن الأصوات وتلحن وتزين للترغيب والترهيب والدعوة إلى الله ﷻ ولإصلاح القلوب فهذا من جنس فعل المتصوفة .

المسألة الثانية والعشرون :

فيها أن أهل الجاهلية اتخذوا دينهم الحق الذي يجب عليهم أن يلتزموا به وأن يتمسكوا به اتخذوه من جنس اللهو واللعب فلم يعبؤوا به و لم يرفعوا به رأساً وتركوه وراء ظهورهم فهم جعلوا دينهم كأنه لهو ولعب ومعلوم أن الإنسان لا يعبأ بما هو لهو ولعب ولا يضرب له حساباً فهؤلاء اتخذوا دين الله ﷻ من هذا الجنس فهم لا يعبأون به وأقبلوا على ما سواه قال تعالى : **﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا ﴾** وقال : **﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بايآتنا**
يجحدون ﴾ وقال : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ .

فإذن : لم يعبأوا بما جاءت به الرسل و لم يرفعوا به رأساً و لم يضعوا له وزناً ولا قيمة بل أعرضوا عنه وأقبلوا على ما سواه .

وهذا أيضاً ظاهر في طوائف كثيرة من الأمة فالمبتدعة أعرضوا عن السنن وعما جاء به النبي ﷺ وتعاملوا معه كأنه لهو ولعب بل قد تلاعبوا بالنصوص الشرعية وتأولوها وأقبلوا على ما يهوونه وما يظنونه و لم يعبأوا بما جاء به النبي ﷺ .

ومن الناس من يكون معرضاً عن دين الله ﷻ لا يتعلمه فدين الله عنده من جنس اللهو واللعب وقد أقبل على دنياه فغرته الحياة الدنيا .

وهنا اليهود والنصارى فإن صلاتهم تقام على أنغام الموسيقى .

فنجد شرائع الإسلام المطهرة المحكمة هراء واستهزاء ولعباً يعتقدون أنها نوع من اللعب

المسألة الثالثة والعشرون :

بيّن الإمام رحمه الله في هذه المسألة : أن أهل الجاهلية كانوا يستدلون على أنهم على الحق بما آتاهم الله من الدنيا فيقولون : الله ﷻ قد رضي ديننا وسنتنا بدليل ما آتانا الله من الدنيا من الأموال والأولاد فأبطل الله ذلك ولذا قال تعالى عنهم : **﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر**
أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ .

فاستدلوا بكثرة أموالهم وأولادهم على أنهم لا يُعذبون .

وكما قال تعالى في صاحب الجنة : **﴿ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا ﴾** .

وقال تعالى : **﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة " أي على ملة الكفر جميعاً " لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون * وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾** .

وقال تعالى : **﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهنن ﴾** فالقاعدة عنده في إكرام الله ﷻ وإهانته ، هي كثرة الرزق أو قلته فإذا كثر رزقه وآتاه الله الولد قال هذا دليل رضا الله ﷻ وإذا منعه الله ﷻ ذلك قال : هذا دليل سخط الله تعالى .

وعند البزار في مسنده عن ابن مسعود مرفوعاً والصواب وقفه وأنه من قول ابن مسعود ﷺ أنه قال : (**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب**) والله ﷻ يؤتي الكفار من الدنيا مع بغضه لهم فقد قال النبي ﷺ كما في الترمذي والحديث صحيح : (**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**) .

فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولذا يعطيها من يحب ومن لا يحب وأما الآخرة فلا يؤتيها الله إلا أولياءه المتقين .

وبيّن الله تعالى أن ما يؤتيه الكفار إنما هو استدراج ولذا قال تعالى : **﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾** فلا يشعرون أن هذا استدراج من الله ﷻ .

ولذا قال تعالى : **﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾** فهذا إملاء من الله تعالى واستدراج منه لهم .

إذن : الكفار كانوا يستدلون على أن ما هم عليه هو الحق بما آتاهم الله من الأموال والأولاد ويقولون : لو كان الله ساخطاً علينا لسلب النعم عنا فإبقاء النعم علينا دليل على رضاه عنا .

المسألة الرابعة والعشرون :

فيها أن أهل الجاهلية كانوا يتركون الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفة فهم متكبرون متجبرون يتكبرون أن يكونوا تبعاً للضعفاء قال تعالى : **﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ....﴾** سبب نزول هذه الآية ما ثبت في مسند الإمام أحمد وأصله في صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال : (**مر الملأ من قريش على النبي ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء والله لا**

نكون لهم تبعاً فأنزل الله ﷻ : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .. ﴾ وأمره سبحانه بالصبر على الجلوس معهم فقال :

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾) .

فأهل الجاهلية كانوا إذا سبقهم الضعفاء والفقراء ، والعبيد والموالي والنساء إلى الحق فإنهم يأنفون أن يكونوا تبعاً لهؤلاء .

المسألة الخامسة والعشرون :

فيها أن أهل الجاهلية يستدلون على بطلان الحق بسبق الضعفاء إليه فهم يمتنعون أولاً من اتباع الحق حيث سبقهم إليه الضعفاء ويستدلون ثانياً على بطلان الحق باتباع الضعفاء له وسبقهم إليه كقوله تعالى : **﴿ لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾** وهم يقولون : لو كان هذا الدين خيراً وحقاً وهدى من الله لكنا نحن السابقين إليه فنحن أهل الجاه وأهل الأموال والأولاد والرأي السديد فلو كان حقاً ما سبقنا إليه هؤلاء الموالي والعبيد والفقراء ولا شك أيضاً أن هذا نوع من التكبر كما في المسألة السابقة فهم يزدرون ويحتقرون الضعفاء أن يصلوا إلى الحق وقد أخبر النبي ﷺ أن أتباع الحق في الغالب هم الضعفاء وأن الرادين للحق في الغالب أيضاً هم الأقوياء والمتكبرون ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، وأهل النار كل جواظ**

" الجواظ هو الجموع المنوع ، أي : يجمع المال ويمنع الحقوق " عُتل " أي جافي " مستكبر) .

فهؤلاء استدلوا على أن هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى بأنه باطل بأتباعه قالوا : هؤلاء ضعفاء وفقراء ولا مال لهم ولا نسب ولا شرف فكيف يسبقوننا إلى الحق فهذا لا يمكن : ﴿ **لو كان خيراً ما سبقونا إليه** ﴾ ولسبقناهم إليه .

وتقدم بعض مظاهر هذا في المسألة الثامنة .

المسألة السادسة والعشرون :

فيها أن أهل الجاهلية يحرفون كتاب الله تعالى من بعد ما عقلوه وهم يعلمون: **﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾** ، وقال : **﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾** .

فأهل الكتاب قد حرفوا كتاب الله تعالى وبَّدلوه في ألفاظه وفي معانيه فكان لهم التحريف بنوعيه :

أ- التحريف اللفظي .   ب- التحريف المعنوي .

أ- التحريف اللفظي : أي الزيادة أو النقصان أو تغيير الحركة الإعرابية بما يترتب عليه تغيير لكتاب الله تعالى . ب - التحريف المعنوي : ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطايكم وسنزيد المحسنين** ﴾

قولوا : " حطة " أي قولوا مسألتنا أن تحط عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا قال النبي ﷺ : (**قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم " أي الدبر " ويقولون : حبة في شعرة**) وهذا كلام مهمل ويريدون به تغيير كلام الله تعالى وتبديله ولذا قال تعالى : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ....** ﴾ الآية .

وفي تفسير ابن جرير عن ابن مسعود ﷺ أنهم قالوا : " حنطة " وهذا يدل على أن لهم ألفاظاً متنوعة في ذلك يجمعها تحريف كلام الله تعالى .

وهكذا وقعت طوائف من هذه الأمة بهذا التحريف وإنما وقعوا في التحريف المعنوي وأما التحريف اللفظي وهو تبديل آيات الله بالزيادة والنقصان بأن يزيدوا في المصحف أو ينقصوا هذا لم يقع فإن ذلك ممتنع لقوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فحفظ الله كتابه من ذلك وإلا لتلاعبوا بكتاب الله وهم يطمحون إلى ذلك كما ورد عن جهم بن صفوان أنه كان يتمنى أن يحك قول الله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ من المصحف

وأراد بعضهم أن يغيرا الحركة الإعرابية في قوله تعالى : ﴿ **وكلم اللهُ موسى تكليماً** ﴾ فالمتكلم هنا الله فأراد أن يحرفها لتكون وكلم اللهَ موسى تكليماً فيكون المتكلم هو موسى لينفي عن الله ﷻ صفة الكلام ولكن الله صانه من ذلك .

وأما التحريف المعنوي فهو واقع بل عامة أهل البدع قد وقعوا بهذا الباب كما وقع به المتكلمون من الأشاعرة الجهمية ومن المعتزلة وغيرهم من تحريف صفات الله تعالى وعامة صفات الله تعالى قد أولوها وحرفوها فيأتون إلى صفة الوجه فيقولون : المراد به الذات وصفة اليد المراد بها القدرة أو النعمة وهكذا وهذا كله من تحريف آيات الله وتبديلها والتلاعب بنصوص الوحي .

ومن ذلك ما يسمى عند المتصوفة بالتفسير الإشاري وهو أن تفسير الآية القرآنية بغير ظاهرها فظاهرها شيء والتفسير شيء آخر فيفسر بمقتضى إشارة خفية يدركها أرباب المتصوفة وأرباب السلوك منهم وهي

تفاسير لا يدركها عامة الناس بل يدركها هؤلاء فقط كما فسروا قوله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ قالوا : هي النفس ولا شك أن هذا من أبطل التفسير ولهم تفاسير كثيرة في هذا الباب .

المسألة السابعة والعشرون :

فيها أن أهل الجاهلية أنهم يصنفون المصنفات وينسبونها إلى الله تعالى وإلى دينه وإلى شرعه قال تعالى : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ .

وهذا قد وقعت فيه طوائف من هذه الأمة فالرافضة لهم كتاب يقولون : قد أنزله الله إلى فاطمة بنت محمد بعد وفاة النبي ﷺ تسلية لها وفيه أخبار بعلوم غيبية وليس فيه ذكر للحلال والحرام وإنما فيه علوم غيبية وأنه أكثر من المصحف فينسبون هذا إلى الله ﷻ .

ومن ذلك وهو كثير جداً المصنفات التي فيها تفسير الله تعالى ورسوله ﷺ فيفسرونها بغير ظاهرها مما يهوونه ويشتهونه وينسبونها إلى الله تعالى فيقولون : مراد الله بهذه الآية كذا ومراد رسوله ﷺ في هذا الحديث كذا وهذا كله من هذا الباب .

* **المسألة الثامنة والعشرون :**

فيها أن من سنن أهل الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم كما قال تعالى عن اليهود : ﴿ **قالوا نؤمن بما أنزل علينا** ﴾ أي لا نؤمن إلا بما أنزل علينا وقال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** ﴾ أي ليس عند النصارى شيء من الحق البتة : ﴿ **وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** ﴾ أي ليس عند اليهود شيء من الحق البتة حتى إيمانهم بنبوة موسى ﵇ : ﴿ **كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ والمراد بهم مشركوا العرب .

قالوا : الحق محصور في طائفتنا وما عند الطوائف الأخرى فهو باطل كله وليس عندهم شيء من الحق .

وهذه المسألة أيضاً واقعة في الأمة فكل طائفة من الطوائف وكل نحلة من النحل وكل متعصب لشخص يقول : الحق محصور به وأنا لا أقبل من الحق إلا الذي يأتي من هذه الطائفة وليس عند الطوائف الأخرى من الحق شيء عليه فيعرضون عن الكتب المصنفة من الطوائف الأخرى ولا يسمعون شيئاً وإن دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن مظاهرها من يتعصب لفقيه من الفقهاء ويقلده في مذهبه يقول : الحق محصور به وما سواه على باطل وكذا المتعصب لجماعة وهكذا في سائر الطوائف .

* **المسألة التاسعة والعشرون :**

فيها : أنهم مع ذلك لا يعلمون ما تقوله طائفتهم فهم يجهلون قول طائفتهم ولا يعلمون ما عليه طائفتهم فعندهم أن الطوائف الأخرى على باطل وأنه ليس عندها شيء من الحق وهم مع ذلك جاهلون بطائفتهم قال تعالى : **﴿ قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾** إن كنتم مؤمنين كما زعمتم بما أنزل إليكم فإن الله قد حرم عليكم قتل الأنبياء فلم تقتلونهم .

وهذا أيضاً ظاهر في هذه الأمة ومن صوره : ما وقع في عصر الإمام محمد – رحمه الله – من إنكار كثير من أرباب المذاهب لدعوته مع أن أئمة المذاهب قد نصوا على ما دعا إليه الإمام محمد – رحمه الله – من التوحيد ولذا فإننا نجد في كتب أئمة الدعوة النجدية – رحمهم الله – نقولاً عن كتب أهل المذاهب ككتب الحنابلة أو كتب الشافعية أو كتب المالكية أو كتب الأحناف وهم يقولون لهؤلاء هذه نصوص أئمتكم وأنتم تخالفونها فأنتم لا تعرفون مذاهبكم وهذا شيء كثير في كتب أئمة الدعوة النجدية .

ومن صوره : أن الأشاعرة لا يعلمون مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومعلوم أنه قد رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ومع ذلك فقد انتحلوا مذهب الجهمية وتركوا مذهب أبي الحسن الأشعري .

ومن صوره : أن الرافضة يسبون الشيخين أبا بكر وعمر مع أن علي بن أبي طالب ﷺ كما في صحيح البخاري لما سُئل عن خير الناس ؟ قال : أبو بكر ، قيل : ثم من ؟ قال : عمر .

ومع ذلك فإن الرافضة يجهلون نصوص الإمام علي ﷺ ولا يعرفون أقواله .

فإذن : مع كونهم يتعصبون لطائفتهم ولا يستمعون إلى الحق الذي مع الطوائف الأخرى فمع ذلك كله جاهلون بطائفتهم فلا يعلمون حقيقة ما هم عليه .

* **المسألة الثلاثون :**

فيها أن من عجائب آيات الله تعالى أن من عادات أهل الجاهلية لما تركوا وصية الله لهم بالاجتماع وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحين فهي من آيات الله تعالى فهي عقوبة من الله تعالى قال تعالى : **﴿ ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾** أي معجبون بما لديهم ويهوونه ولا ينظرون فيما سواه فكل حزب أو فئة معجب بما عنده ولا يرى غيره حقاً ولا ينظر فيه وهذا من عقوبة الله ﷻ لهم فقد أشربت قلوبهم حبَّ ما هم عليه بسبب عدم طاعتهم لله ﷻ بالاجتماع وارتكاب ما نهى الله عنه من الافتراق .

وهذا كما قال تعالى في عباد العجل : **﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾** أي أشربت قلوبهم حب العجل بسبب كفرهم بالله ﷻ فهؤلاء كما أعرضوا عن الحق والاجتماع وتفرقوا عاقبهم الله على ذلك أن

أصبحوا محبين لما هم عليه معجبين به لا يرون الهداية ولا الرشاد إلا فيه كما قال تعالى : **﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ﴾** فأصبحوا يرون الهداية فيما هم عليه والضلال فيما سوى ما هم عليه ولا شك أن هذا من عقوبة الله تعالى لهم .

وهذا ظاهر في أهل البدع فإنهم خالفوا ما أمرهم الله به من الاجتماع وتفرقوا في دين الله فأعقبهم الله حباً لما هم عليه من الضلال فأصبحوا يرون الهداية فيما هم عليه وأن الضلال فيما جاء به النبي ﷺ فأصبح الضلال عندهم حقاً والحق ضلالاً – والعياذ بالله – فأشربت قلوبهم حب ما هم عليه من الباطل .

* **المسألة الحادية والثلاثون :**

وهي من أعجب الآيات أيضاً : وهي أن أهل الجاهلية يعادون الدين الذي ينتسبون إليه غاية العداوة ويحبون دين الكفار من الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفئتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى عليه السلام ، فالرسول أتى اليهود بدين موسى عليه السلام وهو إفراد الله بالعبادة ومن دين موسى الإيمان بالنبي ﷺ وهو مما أَمَر أتباعه به كما هو موجود في التوراة ولكنهم – والعياذ بالله – بسبب إعراضهم عن الحق قد فتنوا فتنة عظيمة فكان منهم أن أبغضوا الدين الذي ينتسبون إليه وعادوه غاية العداوة فلا شك أن ما هم عليه معاداة لدين موسى فهم لم يستجيبوا للنبي ﷺ وحينئذ فيكونون تاركين لدين موسى محاربين له وفي مقابل ذلك أخذوا الدين الآخر الذي يعادي ما عليه موسى عليه السلام وهو دين الذين حاربوا موسى وفتنوهم وعادوهم وجعلوه ديناً لهم كما قال تعالى : **﴿ فلما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾** هذا هو الشق الأول فهنا قد عادوا دين موسى حيث كفروا بالنبي ﷺ **﴿ مصدقٌ لما معهم ﴾** فالنبي ﷺ مصدق لما معهم من التوراة ومع ذلك فإنهم قد نبذوا دينه وراء ظهورهم فيكونون قد عادوا ما عليه نبيهم موسى عليه السلام .

وبالمقابل : **﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾** والسحر هو دين فرعون وقومه وهم أعظم أعداء قوم موسى فأتبعوا دين فرعون ووالوا أولياءه وهم السحرة ولا شك أن هذا من أعجب الآيات – وهذا والعياذ بالله – من صرف القلوب وتنكسيها .

فهم إذن عادوا دينهم بالكفر بالنبي ﷺ ووالوا دين أعداءهم بإتباعهم السحر وهذه المسألة لها مظاهر في الأمة الإسلامية كما يقع به عباد القبور فهم عادوا الإسلام حيث أشركوا بالله ﷻ والإسلام ينهى عن الشرك بل هو أعظم المحرمات ومع ذلك فإنهم أشركوا بالله ﷻ .

وبمقابل تركهم للتوحيد الذي هو دين الرسل أشركوا مع الله ﷻ غيره الذي هو دين أبي جهل وأتباعه من أعداء النبي ﷺ فتركوا دين محمد واتبعوا دين أبي جهل ومن معه ولا شك أن هذا من نكس القلوب وصرفها عن الحق .

*** المسألة الثانية والثلاثون :**

فيها : أن الحق إذا كان مع الطائفة الأخرى فإنهم يكفرون به فهذا هو عمل أهل الجاهلية ، كما قال تعالى : **﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾** وتقدم الكلام على نحو هذه المسألة في المسألة الثامنة والعشرون .

*** المسألة الثالثة والثلاثون :**

فيها : أنهم قد أنكروا ما أقروا أنه من دينهم كما فعلوا في حج البيت – وهذا في مشركي قريش فإنهم كانوا يقرون أن من دين إبراهيم عليه السلام الوقوف بعرفة ومع ذلك فكانوا لا يقفون بعرفة ويميزون أنفسهم بذلك عن بقية الناس فكانوا لا يقفون إلا في الحرم ولا يقفون بعرفة لأنها من الحل مع أن ذلك من دين إبراهيم عليه السلام ولذا استدل المؤلف بقوله : **﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾** فإذن أهل الجاهلية كانوا ينكرون من دينهم ما يعرفون أنه من دينهم وهذا إتباعاً للأهواء ومن ذلك أيضاً أن اليهود قد أنكروا نبوة النبي ﷺ وهم يعلمون أنه نبي وأن الله قد أمره في شريعة موسى أن يؤمنوا به قال تعالى : **﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾** أي يستنصرون بالنبي ﷺ على الذين كفروا من الأميين فيقولون لهم : سيبعث نبي فنقتلكم معه قتل عاد فكانوا يستنصرون بالنبي ﷺ وكان من دينهم الإيمان به ولكنهم لما بعث عليه السلام جحدوا رسالته وكفروا به عليه الصلاة والسلام حسداً من عند أنفسهم .

فمن مسائلهم أنهم ينكرون ما هو من دينهم إتباعاً للأهواء وإتباعاً للآراء الفاسدة وهذا أيضاً ظاهر في الأمة لا في العقائد ولا في الحلال والحرام ولا في السلوك بل في كل ذلك فطوائف كثيرة من الأمة قد أنكرت ما جاء به النبي ﷺ سواء أكان ذلك في الأصول أو في الفروع إتباعاً للأهواء والعياذ بالله وهذا من مسائل الجاهلية .

*** المسألة الرابعة والثلاثون :**

فيها : أن كل فرقة من فرق الجاهلية تدعي أنها هي الفرقة الناجية كما قال تعالى : **﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾** أي قال اليهود لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقال النصارى لا يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ثم قال تعالى : **﴿ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ﴾** أي دليلكم : **﴿ إن كنتم صادقين ﴾** وهذا من باب التعجيز لهم .

وقال تعالى : **﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾.**

فكل طائفة تدعي أنها هي الطائفة الناجية فتنجو في الدنيا من الضلالة وفي الآخرة تنجو من النار ممن يؤمن باليوم الآخر من فرق الجاهلية وأما من لا يؤمن فإنه يعتقد أن ما هو عليه هو الحق وأن دينه فيه النجاة من الضلالة وأنه هو الهدى من الله سبحانه فبينَّ الله بطلان قولهم فقال : **﴿ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .**

وهذه الخصلة قد وقعت فيها هذه الأمة فإن كل طائفة من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام من الرافضة والجهمية والمعتزلة والقدرية والخوارج وغيرها من الطوائف فكل طائفة تدعي أنها هي الطائفة الناجية من الضلالة في الدنيا ومن عذاب الله في الآخرة وأن ما هي عليه هو الحق وهو دين الله سبحانه وتعالى .

وقد بيّن النبي ﷺ أن الفرقة الناجية هي الفرقة التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فيتبين بذلك بطلان تلك الدعاوى التي تدعيها تلك الفرق وأن النجاة إنما هي لأهل الحديث وهم الطائفة المنصورة الناجية الذين ينجيهم الله في الآخرة من النار وفي الدنيا أنجاهم الله من الضلالة وهم على الهدى هدى الله سبحانه والحديث ثابت في الترمذي أن النبي ﷺ قال : (**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابه**) .

*** المسألة الخامسة والثلاثون :**

فيها أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون لله سبحانه بكشف العورات كما كان منهم في طواف بيت الله تعالى فكانوا يطوفون عراة إلا أن يُعيرُهم أحد من قريش ثوباً وإلا فإنهم يطوفون عراة وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (**كانت المرأة تطوف في البيت وهي عريانة وتسأل تطوافاً " أي ثوباً تطوف به " تجعله على فرجها وتقول : اليوم بعضه أو كله .... وما بدا منه فلا أحله**) .

فهذا كان من هدي أهل الجاهلية ولذا قال تعالى : **﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾** وقد فسر ابن عباس ﷺ ومجاهد كما في تفسير ابن جرير فسرا الفاحشة في هذه الآية بأنها: إبداء الصورة في البيت أهـ .

وهذا نوع من أنواع تفسير الآية الكريمة فإذا فعلوا الفاحشة احتجوا أولاً بالتقليد وأنهم وجدوا آباءهم على ذلك ثم يكذبون على الله ثانياً فيقولون : **﴿ والله أمرنا بها ﴾** فإذن يحتجون بالتقليد ويكذبون على الله ﷻ فيها .

وفي قوله : **﴿ والله أمرنا بها ﴾** ما يدل على أنهم كانوا يتعبدون لله ﷻ بذلك .

وهذه المسألة أيضاً قد ظهرت في بعض الطوائف كما في المتصوفة فإنه يقع من بعضهم التعبد لله بكشف العورة وأن ذلك من الولاية وهذا يقع من بعض غلاتهم .

ومن ذلك أيضاً : ما يقع من بعض النساء في بعض البلاد – كما ذكر ذلك بعض المؤلفين وأن بعض النساء يتعبدن لله ﷻ أثناء الدعاء والإلحاح فيه بكشف العورة .

* **المسألة السادسة والثلاثون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بتحريم ما أحله الله ﷻ من الطيبات ومن الزينة وغير ذلك فيتعبدون لله بتحريم ما أحله الله افتراءً على الله **﴿ قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾** فكان من دونهم تحريم ما أحله الله لهم ويتعبدون لله بذلك فيحرمون بعض بهيمة الأنعام وغير ذلك مما ذكره الله في غير ما آية من كتابه الكريم.

وهذه ظاهرة في بعض الطوائف من هذه الأمة ومن ذلك المتصوفة الذين يحرمون ما أحله الله من الزينة والطيبات باسم الزهد في الدنيا ولا أزهد من النبي ﷺ ولا أصحابه ﷺ وما كانوا يحرمون من ذلك شيئاً بل كانوا يتمتعون بما أحله الله لهم من الطيبات من النساء والمساكن والملابس وغير ذلك وأما هؤلاء فهم باسم الزهد حرموا على أنفسهم كثيراً مما أحله الله لهم .

وبالمقابل قد أباحوا لبعضهم ما حرمه الله من الزنا والفاحشة وغير ذلك كما يقع هذا للمتصوفة فإنهم أباحوا بعض المحرمات لبعض ولاتهم – والعياذ بالله – .

* **المسألة السابعة والثلاثون :**

فيها : أن من دينهم اتخاذ الأحبار وهم العلماء والرهبان وهم العباد أرباباً من دون الله قال تعالى : **﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾** وفي الترمذي : (**أن النبي ﷺ قرأ على عدي بن حاتم هذه الآية فقال عدي : إنا لم نكن نعبدهم فقال النبي ﷺ : ألم يكونوا يحرمون عليكم الحلال فتحرمونه ويحلون لكم الحرام فتحلونه ؟ قال : بلى قال : فتلك عبادتهم**) وهذا قد يكون كفراً أكبر وقد يكون كفراً أصغر .

فإن كان قد اتبعهم في تبديل دين الله فاعتقد أن ما أحله الله ﷻ حراماً وأن ما حرمه الله حلالاً فهذا كفر أكبر .

وأما إن كان يعتقد أن الحلال ما أحله الله وأن الحرام ما حرم الله ثم إنه اتبع أقوالهم ترخصاً وإتباعاً للشهوات كما يقع لكثير من الناس فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب كما قرر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ويكون الثاني كفراً أصغر والأول كفراً أكبر وهذه الخصلة ظاهرة في الأمة كما يقع للمتصوفة في طاعة مشايخهم في تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله فيتبعونهم في ذلك فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله .

وكما يقع هذا أيضاً لبعض المتعصبة مقلدة الفقهاء الذين يتبعون هؤلاء الفقهاء وهم يعلمون أن الحق على خلاف قولهم فيتبعونهم ويقلدونهم في دين الله تعالى فهذا أيضاً من هذا الباب ولكن لا نقول هو كفر أكبر بل هو كفر أصغر فالمتعصب لبعض الفقهاء الذي يعلم أنهم قد وقعوا في الخطأ ولكنه يتبعهم من باب الهوى أو لا يعتبر اهتمامه ولا يعتني بالنظر في الدليل بل يقلدهم فهذا له حظ من هذه الآية لكنه ليس بكافر كفراً أكبر كما تقدم تقرير هذا في كتاب التوحيد .

* **المسألة الثامنة والثلاثون والتاسعة والثلاثون :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية الإلحاد في الصفات والأسماء .

والإلحاد في الأسماء والصفات هو الميل بها عن الحق إلى الباطل فيميل بألفاظها ومعانيها عما أوجبه الله فيها إلى الباطل الذي لم يرده الله سبحانه .

واستدل المؤلف – رحمه الله – على أن الإلحاد من مسائل أهل الجاهلية بقوله تعالى : **﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾** فعلم الله المحيط بكل شيء من الصفات الثابتة له ﷻ فعلمه قد أحاط بكل شيء فهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه السر ولا العلانية ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

وما ذكره الله في هذه الآية عن أهل الجاهلية هو من الإلحاد في الصفات فإنه قال : ﴿ **ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون** ﴾ فكانوا يظنون أن الله يخفى عليه شيء من أعمالهم وأن كثيراً من أعمالهم تخفى على الله سبحانه وتعالى وهذا من الإلحاد في هذه الصفة وهي صفة العلم .

ومن الإلحاد في الأسماء ما ذكره الله بقوله : ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن** ﴾ أي ينكرون هذا الاسم فينفونه عن الله عز وجل الذي هو من أسمائه الحسنى .

قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا** ﴾ .

وفي صحيح البخاري : (**أن النبي ﷺ لما أمر الكاتب في الحديبية أن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، قال سهيل بن عمرو – قبل أن يسلم – ما الرحمن والله ما أدري ما هو ؟ ولكن أكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب**) .

فهذا إنكار لاسم الرحمن .

فإذن : أهل الجاهلية كانوا ينكرون من أسماء الله ما ينكرون ومن ذلك اسم الرحمن .

فعلى ذلك الإلحاد في الأسماء والصفات وهو الميل عما يجب فيها إلى ما لا يملك وهذا من اعتقاد أهل الجاهلية .

وقال تعالى عن اليهود : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ وقال عنهم : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة** ﴾ .

وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وصفاته .

وهذه الخصلة الذميمة التي هي تعدٍ على الله سبحانه في أسمائه وصفاته ظاهرة في طوائف كثيرة ممن تنتسب إلى الإسلام كما يقع للجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الطوائف الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته .

* **المسألة الأربعون** :

فيها : أن من عمل أهل الجاهلية التعطيل .

والتعطيل لغة : التخلية قال تعالى : ﴿ **وبئر معطلة وقصر مشيد** ﴾ أي بئر قد خلت من روادها فلا يرد إليها أحد وذلك لهلاك أهلها .

وهو نفي ما يجب لله تعالى في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته .

فعلى ذلك : التعطيل له ثلاثة أنواع :

أ – تعطيل الربوبية وذلك بإنكار ربوبية الله تعالى وأن هذه المصنوعات لا صانع لها كما قال الدهرية : ﴿ **وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ وكما قال تعالى عن فرعون وهو ما أشار إليه المؤلف هنا قال : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ فهذا إنكار لربوبية الله تعالى وقال الله عنه : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلاه غيري** ﴾ وقول الملك الذي خاطب إبراهيم عليه السلام قال : ﴿ **أنا أحي وأميت** ﴾ أو أن يعتقد أن هناك فاعلاً مع الله تعالى يتصرف في الكون ويدبر بعضه كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام وأن له شيئاً من تدبير الكون وتصريفه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ب– تعطيل الألوهية : وهو أن يعبد مع الله عز وجل غيره ولا شك أن صرف شيء من العبادة إلى غير الله تعالى تعطيل لألوهية الله وهذا ظاهر في المشركين وأهل الكتاب من عبادة غير الله .

ج– تعطيل الأسماء الصفات : بأن ينفي عن الله تعالى ما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العلا أو أن ينفي بعضها .

وتقدمت الأدلة التي تدل على وقوع ذلك في أهل الجاهلية .

وهذه المسألة وهي التعطيل ظاهرة فيمن ينتسب إلى الإسلام أما تعطيل الربوبية فهذا يظهر في بعض المتصوفة وهم غلاتهم الذين يعتقدون أن مع الله من يتصرف في كونه وأن القطب يتولى شيئاً من تدبير كون الله تعالى.

وكذلك في المعتزلة الذين يعتقدون أن العبد فاعل وخالق لفعل نفسه فالعبد هو الخالق لهدايته أو ضلالته وأن الله لم يخلق الهداية فيه ولا الضلالة ولا شك أن هذا تعطيل لربوبية الله تعالى : " كيف يعتقد أن أفعال العباد مخلوقة لغير الله سبحانه وتعالى ولذا وصف هؤلاء بأنهم مجوس هذه الأمة لأنهم اعتقدوا أن مع الله رب آخر خالق لأفعاله .

والتعطيل في الألوهية تقدم له أمثلة كثيرة وهو ظاهر في الأمة ظهوراً بيناً كالقبور والمشاهد والذبح للأموات والنذر لهم وغير ذلك .

وأما التعطيل في الأسماء والصفات فهذا أيضاً ظاهر وبين في الطوائف المنتسبة للإسلام ومن ذلك الجهمية نفاة الأسماء والصفات فيقولون مثلاً : الله ليس بسميع ولا ذو سمع ولا بصير ولا ذو بصر ولا عليم ولا ذو علم ... وهكذا .

وكذلك المعتزلة ومن قال بقولهم من الرافضة والأباضية والخوارج فإنهم ينفون عن الله الصفات فقط .

فيقول : الله سميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، عليم بلا علم ... وهكذا .

وكذلك الأشاعرة الذين ينفون عن الله الصفات كلها إلا سبعاً وهكذا الماتريدية فلا يثبتون لله إلا سبع صفات دل عليها العقل – وهذا تعطيل لصفات الله عما يجب اعتقاده فيها إلى ما لا يحل .

*** المسألة الحادية والأربعون :**

فيها : أن أهل الجاهلية ينسبون إلى الله تعالى النقائص كنسبتهم إلى الله ﷻ الولد : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله** ﴾ وقال المشركون : الملائكة بنات الله وقال تعالى : ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً** ﴾ وكذلك وصفوا الله بالحاجة والفقر كما قالت اليهود : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ ووصفوا الله تعالى بالبخل كما قال سبحانه : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ .

ووصفوا الله بالتعب فقال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ أي ما مسنا من تعب .

مع أنهم يتزهون أكابرهم عن هذه الصفات ومن ذلك النصارى يتزهون رهبانهم عن الزوج والولد فيرون أن الراهب لا ينكح النساء ولا يولد له وذلك لعلوه وشرفه وكمال بشريته تشبهاً بعيسى عليه السلام مع أنهم يصفون الله بالولد في قولهم : ﴿ **المسيح ابن الله** ﴾ وهذه الخصلة ظاهرة في الأمة الإسلامية في بعض الطوائف كطائفة المتصوفة الذين يعتقدون أن الله سبحانه هو عين الوجود وهي عقيدة وحدة الوجود ولا شك أن هذه العقيدة فيها وصف الله تعالى بما لم يصفه به اليهود ولا النصارى فإنهم يعتقدون أن الله سبحانه له كل اسم قبيح وله كل وصف قبيح كما أن له كل اسم حسن وكل وصف حسن فالله ﷻ متصف بالأضداد فهو عين كل شيء فلا يتزهونه عن الأقذار ولا الأماكن المستقذرة ولا غير ذلك فالله سبحانه عندهم هو عين الوجود وهذا تنقص ولا شك .

ومن ذلك تنقص النفاة المعطلة لله سبحانه وتعالى حيث شبهوه بالمعدومات فقالوا : هو لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه ...وهكذا ، ولو قيل لأحد صف العدم ما استطاع أن يصفه بأظهر من هذا الوصف فشبهوا الله بالمعدومات وشبهه غلاة الجهمية بالممتنعات فقالوا : الله لا نقول هو موجود ولا نقول هو ليس بموجود وهكذا فوصفوا الله ﷻ بما يترتب عليه أن يكون من الممتنعات .

*** المسالة الثانية والأربعون :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية " أي : مما وقع به بعضهم من الضلالة " الشرك في المِلْك أي الإشراك في الأموال والنساء .

وهو ما دعا إليه " فردك المجوسي " وتبناه بعض ملوك الفرس برهة من الزمن وهو أنه دعا إلى أن يشترك الناس في الأموال والنساء فليس ثمت ملكية فردية في الأموال ولا اختصاص في النساء بل الناس يشتركون في هذين وغيرهما من الأشياء وهذه الخصلة ظهرت أيضاً في العصور المتأخرة فيما يسمى " بالمذهب الشيوعي " الذي

يدعو إلى الاشتراكية في الأموال والنساء فهو يحارب الملكية الفردية ويحل محلها الملكية الجماعية ولا شك أن هذا مخالف للشرع والعقل .

*** المسألة الثالثة والأربعون :**

فيها : أن أهل الجاهلية منهم من كان ينكر القدر ويجحده ويقول : لا قدر .

فينكر أن يكون الله ﷻ يعلم الأشياء قبل وجودها وينكر أن الله شاء وجودها وينكر أن الله خلقها وأوجدها .

كما قال تعالى عنهم : **﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾** وهذا في الأميين وقال زهير بن أبي سلمى وهو شاعر نصراني فهذا من الكتابين :

رَأَيْتُ اَلْمَنَايَاْ خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ نُصِبْ تُمِتهُ وَمَنْ تْخِطْئ يُعَمَّر مَنَهْرَمِ

فهنا قد جعل الوفاة خبط عشواء فلا قدر من الله تعالى .

وهذه الخصلة قد وقعت فيمن ينسب إلى الأمة الإسلامية فمنهم :

١- غلاة القدرية الذين يقولون : إن الأمر أُنُفْ فلم يسبق علم الله سبحانه بالأشياء ، بل الله لم يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها ، فإذا قتل فلان فلاناً فإن الله لم يعلم أنه قاتله حتى قتله .

٢- وكذلك عامة القدرية وهم المعتزلة ومن وافقهم من الرافضة وغيرهم الذين يقولون : بأن الله سبحانه لم يخلق أفعال العباد بل العباد خالقون لأفعالهم والخلق مرتبة من مراتب القدر ولذا القدرية مجوس هذه الأمة لأنهم جعلوا مع الله خالقاً آخر لأفعال العباد وهم العباد أنفسهم وأنكروا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد.

*** المسألة الرابعة والأربعون :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من كان يحتج على ما يفعله من الذنوب والشرك بقدر الله تعالى فيقول الله كتب عليَّ الشرك وقدر علي المعاصي فكيف تلومونني على ذلك وكيف تدعونني إلى الهداية والرشاد كما تزعمون والله سبحانه هو الذي أضلني .

ويقول : كيف يعذبني في النار وهو الذي قد قَدَّر علي ذلك .

ويعارضون أيضاً : الشرع بالقدر وهي " المسألة الخامسة والأربعون " .

فيقولون : لو كان ما نحن عليه غير مرضي له وغير محبوب لله تعالى لما أقرنا عليه الله ولا تركنا عليه .

١- قال تعالى : **﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا ﴾** .

٢- وقال : **﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾** .

٣- وقال : **﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾** فإذن كانوا يعارضون الشرع بالقدر وكان يحتجون بقدر الله على ما يعملونه من الذنوب وهم أيضاً يخالفون الأوامر الشرعية ويعطلونها ويبطلونها بدعوى القدر فقد خلطوا بين مشيئة الله الكونية وبين مشيئته الشرعية فجعلوهما واحداً ولم يميزوا بينهما .

والله تعالى قد ميز بينهما في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ وقد أجمع على هذا أهل السنة والجماعة .

١- فالمشيئة الكونية : هي ما يشاؤه الله سبحانه في الكون ومنه ما يحبه الله ومنه ما لا يحبه ومنه ما يرضاه ومنه ما لا يرضاه ، ولذا قال تعالى : **﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ﴾** .

فالكفر يقع في الكون بمشيئة الله ، ولكن الله سبحانه لا يرضى لعباده الكفر فمشيئة الله هنا مشيئة كونية لا يلزم منها أن يكون الله يحب ما شاء هنا وما قدره .

١- المشيئة الشرعية : وهي ما يشاؤه الله سبحانه فيما يشرع للعباد والله لا يشرع إلا ما يحبه ويرضاه من ذلك أنه شاء منا الصلاة والزكاة والإيمان والله يحب ذلك ويرضيه ذلك فالمشيئة الشرعية تستلزم المحبة فلا يأمرنا الله ﷻ في الشرع إلا بشيء يحبه ويرضاه .

وأما الكون فيوجد من المقدرات ما لا يحبه الله ولا يرضاه من الذنوب والمعاصي .

فإذن : بعض أهل الجاهلية كانوا يحتجون بالقدر على ذنوبهم ومعايبهم ، ومنهم : من يعارض شرع الله بقدره فيبطل الأوامر والنواهي بحجة القدر ، فإذا أمرته بالتوحيد ونهيته عن الشرك قال : أنت مبطل في

دعواك والله ﷻ لا يأمر بما تدعوا إليه ولا ينهى عما تنهى عنه ولو كان الله ينهى عن ذلك لما أقرني على ما أنا عليه فيستدل بمشيئة الله الكونية على أن الله يحب هذا الشيء .

وتقدم : أن مشيئة الله الكونية لا يلزم منها أن يكون الله محباً للشيء .

وتقدم الكلام على هذه الشبة في شرح السفارينية فلا أرى أننا نحتاج إلى بطلانها هنا .

والمقصود أن نذكر أن هذا من فعل أهل الجاهلية وأن نذكر تشبه بعض المنتسبين إلى الإسلام بهم ومن الطوائف التي تشبهت بالمشركين في هذا الباب :

أ- طائفة الجبرية والجهمية من عقائد الجهمية " الذين يقولون إن الله سبحانه يجبرنا على أفعالنا فلا مشيئة لنا ولا اختيار فالعبد كالريشة في الهواء وحركاته في الأفعال كحركات المرتعش وهي حركات غير إرادية فالله ﷻ أجبرنا على ما نحن فيه من خير أو شر – هذه وهي عقيدة الجبرية وهي عقيدة بعض أهل الجاهلية .

ب- وكذا غلاة المتصوفة الذين يستدلون على أن المعاصي والذنوب محبوبة إلى الله ﷻ مرضية لديه بسبب وقوعها في الكون فيقولون : الله يحب الزنا ويحب السرقة ويحب شرب الخمر ونحو ذلك ونحن لا نتركه موافقة لله ﷻ لأنها مقدرات له في الكون فقد شاء الله ﷻ هذه الأمور ونحن نوافق الله على مشيئته لأنها مقدرات له في الكون فقد شاء الله ﷻ هذه الأمور ونحن نوافق الله على مشيئته فالله يحب هذه المعاصي التي قد وقعت في كونه – وهذا من التشبه بأهل الجاهلية في معارضة الشرع وهو الأمر والنهي بالقدر .

فهؤلاء الغلاة قد عطلوا الأمر والنهي فلا أمر ولا نهي بحجة المشيئة الكونية أو القدر .

* **المسألة السادسة والأربعون :**

فيها أن من عمل أهل الجاهلية : مسبة الدهر فكانوا ينسبون ما يصابون به من المصائب إلى الدهر ومن ثم يشتمونه ويعيبونه قال تعالى عنهم : ﴿ **وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ فهو الذي يميتنا ومن ثم فقد شتموه وسبوه.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أُقلب الليل والنهار**) .

فالدهر لا فعل له فالذي يقلب الليالي والأيام ويتصرف في العباد كيف يشاء هو الله ﷻ ، ولذا فإن مَن سبَّ الدهر فقد

سبَّ الله تعالى .

وهذا كثير جداً في أشعار أهل الجاهلية فهو مشهور عنهم كما حكاه عنهم في القرآن وهو أيضاً مما اتبعت فيه هذه الأمة مَن قبلها من الأمم في مسبة الدهر وهو كثير أيضاً في أشعار من ينتسب إلى الإسلام وكذا

نثرهم من سب الدهر والأيام والساعات وغيرها فإذا أصيب الواحد منهم بالمصيبة سب الدهر وتكلم فيه ونسب ذلك إليه وطعن فيه .

*** المسألة السابعة والأربعون :**

فيها : أن من عمل أهل الجاهلية أنهم يعرفون نعم الله سبحانه وأن الله هو المنعم بها ولكنهم ينسبونها إلى غيره في ألفاظهم .

فينسبون نعم الله إلى غيره ، كقولهم : مطرنا بنوا كذا وكذا ولولا فلان ما حدث كذا وكذا ونحو ذلك من الشرك وأن ذلك من فضلهم ، فنسبة النعم إلى غير الله سبحانه وتعالى من مسائل أهل الجاهلية .

وهذا أيضاً كثير ومشهور في هذه الأمة من شرك الألفاظ وما هو أعظم منه .

أ- أما شرك الألفاظ فكقولهم : مطرنا بنوء كذا وكذا – هذا واقع أيضاً في هذه الأمة ولذا قال النبي ﷺ : (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن .....) وذكر منهم : (الاستسقاء بالأنواء)** فهذه من الأمور التي تفعلها هذه الأمة ولا تتركها .

ومن ذلك : نسبة الأرزاق إلى غير الله عز وجل أو أن ينسبوا الأمن إلى الجهود الشخصية ونحو ذلك فهذا كله من نسبة النعم إلى غير الله سبحانه وتعالى .

فالمقصود : أن إضافة النعم إلى غير الله في الألفاظ – هو من الشرك في الألفاظ وهو من الشرك الأصغر حيث كان يقرُّ أن المنعم هو الله سبحانه وتعالى .

ب- أما إن كان ينسبها إلى غير الله تعالى نسبة كاملة في لفظه وفي اعتقاده فهو من الشرك الأكبر ومن ذلك ما يعتقده المتصوفة الغلاة في الصالحين الذين يعبدونهم من دون الله تعالى فإنهم يعتقدون في أقطابهم : أنهم يتصرفون في الأرض وأن ما يخرج من الأرض من الخيرات وما يترل من السماء من النعم أن ذلك من فعل الصالحين ولا شك أن هذا شرك أكبر بالله سبحانه وأما إن كان بمجرد الألفاظ وهو يقر في باطنه ويعتقد أن الله هو المنعم ولكن قال : مطرنا بنوا كذا وكذا ، أو لولا الجهود لضاع الأمن ويتناسى أن الله هو المنعم بذلك كله فهذا كله من الشرك في الألفاظ .

*** المسألة الثامنة والأربعون والمسألة التاسعة والأربعون :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من كان يكفر بآيات الله كلها ومنهم من كان يجحد بعضها والمراد بـ(آيات الله) أي معجزات الرسل ، فهم قسمان :

١- من أهل الجاهلية من كان يجحد الآيات كلها كما قال تعالى : ﴿ **ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ .

فكانوا يكفرون بآيات الله : أي معجزات الرسل .

ومن ذلك : ما كان من قريش قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ أي : إذا أتتهم المعجزة أعرضوا عنها وقالوا : هي سحر مستمر .

فهذا كله كفر بآيات الله كلها : أي بما يقيمه الله تعالى من المعجزات على أيدي رسله .

٢- ومنهم من يجحد بعض ذلك فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ومن هؤلاء : اليهود فإنهم آمنوا بمعجزات موسى عليه السلام وكفروا بمعجزات عيسى قال تعالى : ﴿ **وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ .

فلما جاءهم عيسى بالآيات العظام من الله تعالى الدالة على صدق نبوته قال الذين كفروا منهم : إن هذا إلا سحر مبين ، فآمنوا بآيات موسى عليه السلام وكفروا بآيات عيسى .

واليهود والنصارى آمن كل منهم بآيات نبيه وكفروا بآيات محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن الذي هو معجزة النبي ﷺ .

وهنا عبر المؤلف بـ(الجحود) : لأن الجحود يدل على أن الإنكار في الظاهر وأما في الباطن فلا فإن الجاحد يقر في الباطن وإنما ينكر في الظاهر كما قال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ فقد جحد آل فرعون بالآيات التي أيَّد الله بها نبيه موسى عليه السلام .

جحدوا بها في الظاهر ولكنهم في الباطن قد استيقنوا بها ولذا عبر المؤلف بذلك .

فهم في الباطن لا يستطيعون إنكار معجزات الرسل ولكنهم جحدوا الحق وأعرضوا عنه في الظاهر .

وهذه أيضاً من المظاهر التي ظهرت في الأمة الإسلامية .

فمن ذلك ما ظهر في هذا العصر فيما يسمى " بالمدرسة العقلية " التي تنكر المعجزات ويقولون : إنها تخالف العقل فينكرون المعجزات التي صحت عن النبي ﷺ وأوردها أهل العلم في كتبهم كما يوجد في " دلائل النبوة " وغيره .

والأحاديث في هذا كثيرة في الصحيحين وفي السنن والمسانيد في دلائل نبوته ﷺ وكذلك في كتاب الله ﷻ .

وهؤلاء عرضوا هذه المعجزات التي وقعت على يد النبي ﷺ إظهاراً لنبوته عرضوها على عقولهم فلم تقبلها عقولهم القاصرة ومن ثم فإنهم أنكروها .

فآمنوا ببعض وهي معجزة القرآن وكفروا ببعض وهي تلك المعجزات التي لم تقبلها عقولهم .

*** المسألة الخمسون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا ينكرون الرسالة وحجتهم أن من أُرسِل إليهم هم بشر فقالوا : **﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾** .

فأنكروا الرسالة وأنكروا ما أنزله الله ﷻ على الرسل من الكتب قال تعالى : **﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾** الآية .

وقال : **﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾** .

فأنكروا الرسالة بحجة أن المرسل إليه بشر وأنكروا ما أنزل الله على الرسل من الكتب .

*** المسألة الحادية والخمسون :**

فيها أنهم يقولون : القرآن قول بشر وليس من كلام الله تعالى وقد حكى الله ذلك عنهم كما قال عنهم : **﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾** كما قال الوليد بن المغيرة .

وقال سبحانه **﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾**

وقال تعالى : **﴿ وإذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾** .

فكان من أهل الجاهلية من يقول : القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ من تعليم البشر وعليه فالقرآن قول بشر وليس من كلام الله تعالى وليس من كلام النبي ﷺ قال تعالى : **﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾** أي لسان الذي يقولون إنه هو الذي علّم محمداً ﷺ القرآن لسانه أعجمي : **﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾**

أي القرآن فكيف يصح ادعاؤكم هذا .

وهذه المسألة قد وقعت في الأمة المحمدية .

أ- فالمعتزلة يقولون : القرآن مخلوق وليس كلام الله سبحانه وتعالى وبهذه المسألة فتنوا أئمة الإسلام كالإمام أحمد رحمه الله وقد قال من قال : إن القرآن مخلوق فهو كافر " أهـ .

ب- والأشاعرة يقولون هذا الكلام الذي بين أيدينا ليس هو حقيقة كلام الله تعالى بل هو حكاية أو عبارة عن كلام الله فالقرآن الذي بين أيدينا ليس هو حقيقة كلام الله تعالى بل هو حكاية أو عبارة عن كلام الله ، فالقرآن الذي بين أيدينا هو قول ملك أو قول بشر فهو قول الرسول الملكي أو قول الرسول البشري وليس بكلام الله تعالى ولكن معانيه من الله تعالى – فهذا تشبه كبير بأهل الجاهلية .

ج- والرافضة يقولون : بعض القرآن مختلق وليس من كلام الله تعالى فقد وقع عندهم في القرآن تحريف بزيادة وحذف ، وكل هذا تشبه بأهل الجاهلية .

* **المسألة الثانية والخمسون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يقدحون في حكمة الله تعالى .

فيقدحون في قدره وفي شرعه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

قال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للكافرين من النار** ﴾ فهم كانوا يقولون : الله خلق السماوات والأرض عبثاً بلا حكمة فنفى الله ذلك .

وكذلك ظنوا أن الله خلقهم عبثاً بلا حكمة قال تعالى : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ .

وقالوا أيضاً : ﴿ **وقالوا لو نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ فطعنوا في حكمة الله تعالى في وضع النبوة في النبي ﷺ . وطعنوا في شرع الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ .

فيقولون : كيف تحرمون الميتة التي يقتلها الله سبحانه وتعالى وتحلون ما تذبحونه بأيديكم وهذا من القدح في حكمة الله تعالى في شرعه ، وهذا شيء كثير قد وقع لأهل الجاهلية ، وقد وقع هذا عند بعض من ينتسب إلى الإسلام فمن ذلك :

١- أن الأشاعرة ينفون الحكمة عن أفعال الله عز وجل فيقولون : الله يفعل بلا حكمة ففعله سبحانه بمقتضى المشيئة فقط يشار فيفعل " وأن لم يكن في فعله حكمة وعلة تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً وهو الحكيم العليم .

٢- وكذلك ما يقوله بعض عامة الناس من الألفاظ التي فيها قدح في حكمة الله تعالى كقولهم فيمن أصيب بمصيبة – فلان لا يستحق أو ماذا فعل حتى يصاب ونحو ذلك من القدح في حكمة الله تعالى في كونه .

٣- وكذلك من يرمي الشريعة الإسلامية بالوحشية في أحكامها لاسيما في الحدود بالقتل والقطع فيقولون : هذه وحشية ولا شك أن هذا أيضاً قدح في حكمة الله تعالى في شرعه .

وهذا كله من التشبه بالكفار فلهؤلاء أسوة فيمن سبقهم من أهل الجاهلية .

* **المسألة الثالثة والخمسون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يحتالون الحيل الظاهرة والخفية لدفع ما جاءت به رسل الله :

أ- فمن الحيل الظاهرة : القتل ، والحبس ، والإيذاء ، وبث الإشاعات الكاذبة .

ب- ومن الحيل الخفية : إظهار الإسلام وإبطان الكفر وغير ذلك من الحيل الخفية قال تعالى:**﴿ ومكروا ومكرالله ﴾** والمكر : هو إيصال المكر إلى الغير من حيث لا يشعر .

وهذه الآية في اليهود الذين مكروا بعيسى عليه السلام فوشوا به إلى ملك زمانهم وقالوا : هذا الرجل يفسد عليك رعيتك ويدعو إلى معصيتك فأراد قتله فرفعه الله تعالى إليه فقال تعالى : **﴿ ومكروا ومكر الله ﴾** .

وقال تعالى : فيها أن طائفة من أهل الكتاب قالت للطائفة الأخرى : **﴿ آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا أخره لعلهم يرجعون ﴾** .

وجه النهار : أي أول النهار.

ومعناها : أي أظهروا الإسلام في أول النهار واكفروا آخر النهار فقولوا في أوله : أسلمنا وأظهروا أنكم قد دخلتم في دين محمد عليه الصلاة والسلام فإذا كان آخر النهار فاكفروا به علانية .

وذلك صداً عن سبيل الله وتشكيكاً في دين الله ليقول ضعفاء الناس : لو كان هذا الدين حقاً ما تركه هؤلاء بعد أن دخلوا فيه وما تركوه إلا لعلة أو لنقص فيه فينفر الناس عن دين الله ويرغبوا عنه .

فهؤلاء يريدون أن يصدوا عن سبيل الله بمثل هذه الطريقة وهي حيلة خفية ماكرة فيظهرون الإسلام في أول النهار فإذا كان أخره كفروا فيقول الضعفاء : ما ترك هؤلاء الدين إلا لنقص فيه فبذلك يشككون الناس في دين الله ويصدونهم عن سبيل الله .

وقال تعالى في كفار قريش : **﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾** .

وقال في قوم صالح : ﴿ **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون** ﴾ .

وهذه المسألة مازالت واقعة فأعداء الله يبذلون الغالي والرخيص ويعملون ما يستطعونه من الحيل ظاهرها وباطنها لحرب الإسلام فتارة يحاربونه علانية وتارة يحاربونه سراً ومما وقع مما هو شبيه لصنيع أهل الكتاب الذي ذكره الله في الآية المتقدمة ، ما وقع من عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وأبطن الزندقة والكفر بالله تعالى حتى دعا الناس إلى عبادة علي ﷺ وإلى مذهب الرفض فكان هو المؤسس لمذهب الشيعة والرافضة .

وكذلك ما كان يقع من المستشرقين من حرب الإسلام فكانوا يدرسون الإسلام ثم يحاربونه ويبثون الشبه .

وكثير من الناس ولا شك يدعى الإسلام وينتسب إليه وهو محارب له في الباطن فيحارب الإسلام باسم الإسلام – والعياذ بالله – .

* **المسألة الرابعة والخمسون :**

فيها : أنهم كانوا يقرون بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال تعالى في الآية المتقدمة وهي : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا أخره** ﴾ .

فكان من حيلهم الباطلة الخفية أنهم كانوا يقرون بالحق ليتوصلوا بذلك إلى حرب الحق ودفعه وهذه من أعظم وسائل أهل الجاهلية فيظهروا الإسلام ويبطنوا الكفر أو أن يظهروا الإسلام زمناً ثم يكفروا به ليشككوا الناس فيه .

* **المسألة الخامسة والخمسون :**

تقدم الكلام عليها في أن أهل الجاهلية يردون الحق إذا كان مع غير طائفتهم ولا يقبلون من الحق إلا ما كان مع طائفتهم .

* **المسألة السادسة والخمسون :**

فيها أن أهل الجاهلية يعكسون الحقائق فيسمون الحق باطلاً والباطل حقاً فيسمون إتباع الإسلام شركاً وقال الله عن قوم نوح : ﴿ **إنا لنراك في ضلال مبين** ﴾ فيقولون : هذا الذي تدعون إليه وهو الإسلام والتوحيد الخالص يقولون : هو الشرك بالله تعالى كما ذكره الله في قوله : ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾ .

قال اليهود في النبي ﷺ : إنه يدعو إلى عبادة نفسه .

فدين الإسلام حقيقة عندهم عبادة محمد ﷺ فقالوا : هو كدين النصارى الذي هو عبادة عيسى عليه الصلاة والسلام.

فجعلوا الإسلام " وهو التوحيد الخالص " جعلوه : عبادة للنبي ﷺ فأبطل الله ذلك كما في الآية السابقة .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة الإسلامية .

فمن ذلك ما يعتقده المتصوفة الغلاة الذين يعتقدون أن دين محمد شرك ، فالتوحيد عندهم هو وحدة الوجود فعلى ذلك اعتقاد أن الله ليس حالاً في كل شيء وأن الكون غير الله هذا ينافي التوحيد عندهم وهو شرك بالله سبحانه وتعالى .

ونفاة الصفات يصفون أهل السنة والجماعة بأنهم مجسمة مشبهة حشوية .

* **المسألة السابعة والخمسون :**

تقدم الكلام على شرحها .

* **المسألة الثامنة والخمسون :**

فيها : أن أهل الكتاب يلوون ألسنتهم بالكتاب .

أي : كانوا يحرفون الكتاب بألسنتهم – وهنا نوع من أنواع التحريف فهو تحريف لسان وليس بتحريف كتاب .

فإذا مروا على الآية المنزلة تلوا الآية المحرفة فيتلون الكلام المحرف الذي ليس هو من دين الله تعالى .

قال الله تعالى : **﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾** .

﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ : أي يميلون ألسنتهم بكتاب الله تعالى فإذا مروا على الآية المنزلة نطقوا بما حرفوه – والعياذ بالله – كما وقع في قصة الزاني من اليهود كما في الصحيحين – فقد قرأوا التحميم " أي تسويد الوجه " وبين أعينهم في التوراة أن حكمه الرجم الذي شرعه الله ، فهذا تحريف باللسان وأما الكتاب فليس فيه تحريف .

وهذا يقع فيمن ينتسب إلى الإسلام فبعض الناس من الدجالين والمشعوذين يظهر للناس أنه يقرأ القرآن ويتمتم بالشرك بالله عز وجل فيظهر للناس أنه لا يقرأ إلا كتاب الله سبحانه ولا يقرأ إلا الرقى الشرعية وهو إنما يقرأ في الحقيقة الطلاسم الشركية .

وقد يقال أيضاً : تلفظ الألسنة بالخطب والمحاضرات المخالفة لشرع الله تعالى ونسبة ذلك إلى الإسلام مع عدم تحريف الكتاب أيضاً من هذا النوع وهو كثير جداً في كلام الناس .

*** المسألة التاسعة والخمسون :**

فيها أن أهل الجاهلية كانوا ينبزون أهل الحق بالألقاب السيئة تنفيراً للناس منهم ويصدون عن سبيل الله بذلك .

ومن ذلك : قول كفار قريش فيمن دخل في الإسلام : إنه صحابي فيقولون : صبأ فلان وكان أبو لهب – كما في مسند الإمام أحمد – كان يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو إلى الله تعالى فيقول : إنه صابئ كذاب .

كما أنهم : كانوا ينبزون النبي ﷺ بالجنون وغيره كما قال تعالى عنهم : ﴿ **وقالوا مُعَلَّمُ مجنون** ﴾ .

وهذه الخصلة عليها أهل البدع المنتسبون إلى الإسلام فإنهم ينبزون أهل السنة والجماعة بالألقاب المنفرة المستكرهة ومن ذلك ما ذكره الإمام هنا بقوله : (والحشوية) ويقال : إن أول من وصف أهل السنة بذلك هو عمرو بن عبيد المعتزلي وأنه وصف بذلك : عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

" والحشوية " من الحشو وهو الفضل الذي لا يعتمد عليه من الكلام ومن الناس فهو شيء هامشي لا قيمة له .

كما كانوا يصفونهم بالمجسمة وغير ذلك من الأوصاف المستكرهة .

ومن ذلك ما ينبز به العلمانيون : أهل الإسلام المطبقين لشرع الله المتماثلين إلى دين الله يسمونهم بأنهم رجعيون فيقولون إقامة الحدود وتطبيق شرع الله في الناس عمل رجعي .

وكذلك يصفون المرأة المتحجبة بالرجعية وهكذا فهذا كله من التشبه بأهل الجاهلية .

قال تعالى : ﴿ **وإن من أهل الكتاب من أن تأمنه بدينار ...** ﴾ .

*** المسألة الستون :**

فيها إن أهل الجاهلية كانوا يفترون على الله الكذب وينسبون إليه باطلهم ويقولون : هذا هو دين الله في الحلال والحرام وفي التوحيد وفي غير ذلك .

وهذا شيء كثير جداً في كتاب الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون** ﴾ .

فقولهم : ﴿ **لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات** ﴾ هذا من افترائهم الكذب على الله .

ومن ذلك قولهم : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **انظر كيف يفترون على الله الكذب** ﴾ والآيات في ذلك كثيرة جداً .

وأما في الفرق المنتسبة إلى الإسلام فهذا ظاهر أيضاً فكل فرقة ابتدعت في دين الله بدعة فإنها تنسب بدعتها إلى دين الله ﷻ .

فتكفير أهل الكبائر والخروج على السلطان ينسبه الخوارج إلى دين الله وشرعه وتأويل الصفات وتعطيلها ينسبه المعطلة والمؤولة إلى دين الله ﷻ ، والرفض ينسبه الرافضة إلى دين الله ﷻ ، وعبادة الصالحين " ودعاؤهم من دون الله ﷻ ينسبه عباد القبور إلى دين الله تعالى ، فما من مبتدع إلا وينسب بدعته إلى دين الله ﷻ .

وهكذا المتساهلون الذين قد ضلوا وأضلوا الناس في باب الفتاوى فإنهم أيضاً يكذبون على الله ﷻ في باب الحلال والحرام فيقولون : قد أحل الله كذا وهم كاذبون ويقولون : حرم كذا وهم كاذبون .

* **المسألة الحادية والستون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يكذبون بالحق قال تعالى : ﴿ **بل كذبوا بالحق لّما جاءهم** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك** ﴾ الآية .

وكانوا ينكرون الحق الذي جاءت به الرسل من التوحيد وأمر المعاد وغير ذلك مما جاءت به رسل الله .

ولا يزال هذا في الأمة المحمدية من يكذب رسل الله وينكر ما جاءت به الرسل من توحيد الله والمعاد ومن وجود لله وغير ذلك مما جاءت به رسل الله .

* **المسألة الثانية والستون :**

ففي هذه المسألة وما بعدها : أن أهل الجاهلية كانوا إذا عجزوا – وهم عاجزون ولابد – إذا عجزوا عن مناظرة أهل الحق فإنهم يلجئون إلي الوشاية بأهل الحق عند السلطان فيوغرون صدره ويؤلبونه عليهم حتى ربما قتلهم أو نفاهم من الأرض أو غير ذلك .

ومن هذا فعل قوم فرعون فإنهم لما غلبهم موسى عليه السلام – حين جمعوا السحرة فغلبهم موسى عليه السلام بما معه من الحق كما حكى الله ذلك في كتابه الكريم كان منهم أن ألبوا فرعون على موسى وقومه كما في الآية : ﴿ **قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض** ﴾ .

* **المسألة الثالثة والستون :**

كذلك يرمون أهل الحق بالإفساد وفي الأرض : **﴿ ليفسدوا في الأرض ﴾** وهذا من قلب الحقائق .

*** المسألة الرابعة والستون :**

كذلك يرمون أهل الحق بأنهم ينتقضون دين الملك ويسفهون ما أنت عليه كما قال تعالى : **﴿ ويذرك وآلهتك﴾** .

والواو هنا فيها قولان لأهل العلم :

١- القول الأول : أنها عاطفة : أي يذرك وما تعبد .

وعليه : فإن فرعون كانت له آلهة يعبدها من دون الله .

وقيل : إنه كان يعبدها سراً وأما في العلن فكان يقول : **﴿ ما علمت لكم من إلاه غيري ﴾** وكان يقول : **﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾** .

وقيل : بل له آلهة وقومه يعبدونها في العلن فلهم آلهة متنوعة وأما فرعون فهو من آلهتهم ولذا قال : **﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾** أي بالنسبة للمعبودات الأخرى أي أعلا هذه المعبودات ولكن يشكل عليه قوله تعالى : **﴿ ما علمت لكم من إلاه غيري ﴾** فقيل : إن ذلك كان آخر الأمرين منه أي إدعاء الألوهية له وحده وأنه في السابق كانت لهم آلهة أخرى .

القول الثاني : أنها حالية أي أتذر موسى وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك – فالمعبود هو فرعون وهو ظاهر قوله تعالى : **﴿ ما علمت لكم من إلاه غيري ﴾** .

إذن : قد رموهم بانتقاص دين الملك .

*** المسألة الخامسة والستون :**

كذلك رموهم بانتقاص آلهة الملك كما في قوله : **﴿ ويذرك وآلهتك ﴾** .

*** المسألة السادسة والستون :**

كذلك رميهم بتبديل الدين كما قال فرعون في موسى: **﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾**

*** المسألة السابعة والستون :**

كذلك رميهم بانتقاص الملك كقوله : **﴿ ويذرك وآلهتك ﴾** فهو انتقاص للملك وانتقاص لدينه وانتقاص لآلهته – فهذا من فعل أهل الجاهلية .

ومن ذلك أيضاً : ما كان من اليهود مع عيسى عليه السلام لما غلبهم بالحجة والبرهان وظهر عليه من المعجزات الشيء الكثير حينئذ وشوا به إلى ملك ذلك الزمان وأوغروا صدره حتى أرادوا قتله فرفعه الله إليه .

ومن ذلك : ما فعله كفار قريش لما هاجر المسلمون إلى الحبشة فذهبوا إلى النجاشي وأوغروا صدره عليهم وقالوا إنه يتنقصك ويتنقص دينك ويرى أن عيسى عبد وليس بنبي .

وهو يقع في أهل السنة والجماعة فيما يفعله بهم أعداءهم لأن دين أهل السنة دين ظاهر وحجتهم حجة قائمة غالبة ويعجز أهل البدع عن مقاومتهم بما عندهم من شبه مضللة لضعفاء البصائر ولكنهم إذا وقفوا أمام الحق فإنهم مغلوبون ولابد فإذا عجزوا عن أهل السنة والجماعة لجأوا إلى الوشاية إلى الملوك والحكام ليوغروا صدورهم على أهل السنة والجماعة كما وقع هذا من ابن أبي دؤاد في علماء أهل السنة في زمانه لما أتى بدعوى خلق القرآن " فإنه أوغر صدر المأمون والواثق على أهل السنة والجماعة وفيهم إمام أهل السنة : الإمام أحمد رحمه الله حتى قتل منهم من قتل وعذب من عذب وكذلك ما حصل في عهد الإمام محمد – رحمه الله – فإنهم لما عجزوا عن مقاومته ومقاومة دعوته لجأوا إلى الوشاية به إلى السلطة العثمانية كما وقع من ابن فيروز وغيره فكان أن أمر صاحب البلاد المصرية لغزو الدرعية وهدم الدرعية ، فإنهم إذا عجزوا عن مقاومة أهل الحق فإنهم يلجأوا إلى الوشاية بهم إلى أهل السلطنة والحكم ليقوموا باستئصال قوة أهل الحق قتلاً ونفياً وسجناً وغير ذلك .

*** المسألة الثامنة والستون :**

فيها : أن أهل الكتاب من أهل الجاهلية كانوا يّدعون العمل بما عندهم من الكتاب وهم مناقضون له مخالفون له ، قال تعالى عنهم: **﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾** ثم قال: **﴿ وهم يكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم ﴾**

ومن ذلك : بعثة النبي ﷺ فإنها مما وجب عليهم الإيمان به مما أنزله الله عز وجل في التوراة ومع ذلك فقد كفروا به عليه الصلاة والسلام ، فأين إيمانهم بما أنزل الله عليهم من الكتاب .

وقد نهاهم الله عن الربا وأكل الأموال بالباطل ومع ذلك فقد أكلوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل قال تعالى : **﴿ وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾** فأهل الكتاب من أهل الجاهلية ، كانوا يدعون أنهم مؤمنون بالكتاب وهم في حقيقة الأمر مناقضون له كافرون به .

ومن ذلك المنافقون فإنهم يدعون الإيمان بالله وبالرسول وطاعتهما فإذا أدعوا إلى ذلك خالفوا وناقضوا قال تعالى: **﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾**.

وهذه الخصلة الذميمة ظاهرة في أهل البدع الذين يدعون التمسك بالسنة أو العمل بالكتاب وهم مع ذلك مناقضون للكتاب والسنة ومخالفون لهم .

وكما قيل : ما أسهل الدعوى ، وما أعز المعنى " وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال " .

*** المسألة التاسعة والستون والمسألة السبعون :**

فيهما : أن أهل الجاهلية كانوا يزيدون في العبادة وينقصون منها فكانوا يزيدون على العبادة فهي " بدعة فعلية " قال" كفعلهم يوم عاشوراء " فالمشروع لهم في يوم عاشوراء وهم اليهود المشروع لهم في دين موسى عليه السلام هو الصيام ولكنهم زادوا فيه فاتخذوا هذا اليوم عيداً وعظموه وإنما شرع لهم صيامه فقط .

وكانوا ينقصون من العبادة كترك الوقوف بعرفة – وهذا في قريش فإنهم كانوا لا يقفون بعرفة ويرون أن هذا لغير قريش فتركوا شيئاً مما يعتقدون مشروعيته وأنه من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام تركوه تعبداً فهم لا يقفون بعرفة تعبداً ويرون أنها من شعائر الحج ومع ذلك لا يقفون فيها تعبداً فهي " بدعة تركية " قال تعالى في البدع عامة ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ .

وهذا ظاهر في أهل البدع ومن ذلك المتصوفة الذين يبتدعون من الأفعال ما لم يشرعه الله عز وجل ويزيدون في العبادات بما لم يرد عن النبي ﷺ وينقصون من ذلك تعبداً لله عز وجل .

ومن ذلك - أي من البدع – وقد يفعله غير المتصوفة – تعظيم يوم عاشوراء بأذكار وعبادات وتحزين وغير ذلك والمشروع لنا هو صيامه فقط .

والنقص أيضاً كثير جداً : أي بأن ينقص شيئاً مما جاء به النبي ﷺ فيترك شيئاً من ذلك تعبداً لله تعالى .

*** المسألة الحادية والسبعون :**

فيها : أنهم يتركون ما أوجبه الله عليهم تورعاً ومن ذلك أن الأميين من أهل الجاهلية كانوا يتركون ما أوجبه الله عليهم من ستر العورة في الطواف يتركونه تورعاً خشية الشبهة في هذا الثوب فلا يطوفون إلا بثوب يعيرهم إياه بعض قريش كما تقدم ذكره .

ورهبان النصارى يتركون ما أوجبه الله عليهم من غسل الجنابة ومن الوضوء ومن إزالة الأقذار والنجاسات يتركونه تورعاً ويرون أن هذا من فضائل الراهب – مع أن الله أمرهم بإزالة النجاسات وبغسل الجنابة – مع ذلك لا يفعلون ذلك ويعدونه ورعاً وديناً – .

*** المسألة الثانية والسبعون " المسألة الثالثة والسبعون " :**

فيها أنهم يتعبدون لله بترك الطيبات من الرزق من المناكح والمآكل والمشارب ويتعبدون لله بترك زينة الله وهي ما يتزين به العبد من بعض أنواع الثياب والحلي التي يلبسها النساء ونحو ذلك مما أباحه الله ﷻ من الزينة .

قال تعالى – منكراً عليهم – :**﴿ قل : من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾** .

وقال ﷻ : **﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾** فكانوا يتركون الطيبات تعبداً لله تعالى ويتركون زينة الله تعبداً لله سبحانه وهدي الإسلام بخلاف ذلك والنبي ﷺ كما في الصحيح لما ذكر له أن بعض الناس قال : (**أنا لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : أنا أصوم ولا أفطر ، وقال بعضهم : أنا أقوم ولا أنام فقال النبي ﷺ : لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**) .

وهذه المسائل الثلاث ظاهرة في المتصوفة من ترك الواجب تورعاً ومن ترك الطيبات من الرزق تعبداً ومن ترك زينة الله تعالى تعبداً ، وقد يفعلها الجهال من عوام أهل السنة فيظنون أن من الزهد ترك ما أباحه الله من الطيبات أو ترك الزينة التي أباحها الله وليس هذا من الدين في شيء فالنبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يتركون من ذلك شيئاً .

*** المسألة الرابعة والسبعون :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من يدعو الناس إلى الضلال بغير علم فيدعو إلى ما لا يحل اعتقاده في الله سبحانه أو في أسمائه أو صفاته أو في النبوات أو في الآخرة أو في الحلال أو في الحرام يدعو إلى ذلك بغير علم فيحل ما حَّرم الله بغير علم – إلى غير ذلك من المسائل : فهذا من صنع أهل الجاهلية كما قال تعالى : **﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾**

فكان من أهل الجاهلية من يدعو إلى الضلال عن جهل إما تقليداً للآباء وإما إتباعاً للظنون الفاسدة .

*** المسألة الخامسة والسبعون :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من كانوا يدعوا إلى الكفر والضلال مع علمه أن هذا كفر وضلال وأن ما هو عليه باطل وأن الذي يدعوا إليه هو الباطل وأن ما يصد عنه هو الحق كما قال تعالى : **﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾** .

أما اليهود كانوا ينكرون نبوة النبي ﷺ ويدعون إلى هذا الإنكار وهم يعلمون أنه نبي صدق من الله ﷻ .

وأما الأميون من مشركي قريش وغيرهم وكذلك النصارى فإنهم كانوا يدعون إلى ما هم عليه من العقائد الباطلة يدعون إليها على ضلالة فهم لا يعلمون الحق .

وهاتان المسألتان ظاهرتان في هذه الأمة فإن من الناس من يدعو إلى الباطل وهو يظنه حقاً ككثير من المقلدة والمتصوفة وغيرهم الذين يدعون إلى الشيء الكثير من الباطل وهم يظنون أنه حق إتباعاً لمشايخهم وظناً فاسداً وتخرصاً باطلاً .

ومنهم من يدعو إلى الباطل وهو يعلم أن هذا باطل وهو يقع لكثير من دعاة الضلالة الذين يعتقدون أنهم على ضلال ولكنهم يدعون الناس إلى هذا الضلال وينفرونهم من الحق رغبة في المال أو في الجاه أو في المنزلة أو نحو ذلك .

*** المسألة السادسة والسبعون :**

فيها : المكر الكُبَّار وهو العظيم الشديد الذي حكاه الله عن قوم نوح فقال : **﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾** وهو داخل في الحيل التي تقدم ذكرها في درس سابق فإن المكر نوع من أنواع الحيل ، والحيل منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن والمكر من الحيل الباطنة .

فعلى ذلك : هذه المسألة أخص من المسألة السابقة وتلك أعم من هذه المسألة .

*** المسألة السابعة والسبعون :**

فيها : أن أئمة أهل الجاهلية وهم من يقتدي بهم في الدين نوعان :

١- إما عالم فاجر .

٢- أو عابد جاهل .

كما قال تعالى في النوع الأول وهم العلماء الفجرة : **﴿ وقد كان فريق منهم " أي من أهل الكتاب " يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾** .

فهؤلاء علماء فجرة يحرفون الكلم عن مواضعه .

وقال تعالى فيهم وفي الرهبان الفجرة : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾** فهؤلاء أحبار فجرة ورهبان فجرة .

وقال تعالى : **﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾** .

وقال : **﴿ وإن كثيراً منهم لفاسقون ﴾** .

وأما النوع الثاني وهم العباد والجهلة فقال تعالى فيهم : **﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون ﴾** فهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني : أي لا علم لهم بالكتاب إلا مجرد القراءة فقط ولا يفقهون ما فيه من المعاني فهم يتلون التوراة أو الإنجيل ولا يفقهون ما في كتاب الله من المعاني فليس لهم من كتاب الله تعالى إلا الأماني وهو مجرد القراءة ثم يتعبدون الله ﷻ بالجهل والعياذ بالله – .

وهذه المسألة ظاهرة في طوائف كثيرة ممن ينتسب إلى العلم والعبادة في الأمة الإسلامية وإن كان الله ﷻ قد حفظ هذه الأمة من أن يكون علماؤها كلهم فجرة بل قد أخبر النبي ﷺ أن هذا العلم يحمله من كل خلف عدوله – وهو علم السنة – فعلماء السنة .

علماء عدول وقد قال النبي ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك**) .

وأغلب أئمة المتصوفة من العباد والجهلة الفجرة الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحله الله إتباعاً للشهوات والعلماء الفجرة لا شك أن في الأمة الإسلامية عدد كثير منهم الذين يتكلمون في دين الله إتباعاً للشهوات فيفتون فيَضلون ويُضلون إتباعاً لشهواتهم وأهوائهم – والعياذ بالله – .

* **المسألة الثامنة والسبعون :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية ادعاء ولاية الله تعالى مع مخالفة شرعه ودينه والشرك به ومحاربة رسله .

وقد قال تعالى : – في قول أهل الكتاب – : **﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾** .

وهذه ظاهرة في طوائف من هذه الأمة ومن ذلك المتصوفة الذين يدعون أنهم أولياء من دون الناس وأن لهم فضيلة

على الناس مع أنهم مخالفون لشرعه ولهدي نبيه ﷺ .

* **المسألة التاسعة والسبعون :**

فيها : أنهم يحبون الله تعالى وهم تاركون لشرعه وهذا تناقض ظاهر فإن المحب مطيع لمحبوبه كما قال بعضهم:

تعصي الإلاه وأنت تزعم حبه * هذا محال في القياس بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيعُ

فأعظم آثارمحبة الله ﷻ طاعته فمن ادعى إنه يحب الله وهو مخالف لشرعه فهذا يدل على أن دعواه كاذبة ولذا قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ أي إن كنتم صادقين في محبة الله تعالى فاتبعوا النبي ﷺ وهذه المسألة أيضاً : ظاهرة في الأمة الإسلامية فكثير من العامة يدعي أنه محب للنبي ﷺ غلواً غير مشروع ومع ذلك فإنهم مخالفون لهديه ﷺ في كبير أمرهم وصغيره فلا يقتدون به بل هم معرضون عن السنة تعلماً وتعليماً .

* **المسألة الثمانون** :

فيها : أن أهل الجاهلية يتمنون على الله تعالى الأماني الكاذبة فيرجون على الله ما يرجون وهم لم يعلموا أسباب ذلك

و لم يسلكوا المسالك التي تترتب عليها تلك الأماني من العلم النافع والعمل الصالح .

ومن ذلك قول اليهود : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة** ﴾ وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل فقال الله تعالى : ﴿ **قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ .

وقال : ﴿ **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** ﴾ وهذا من أعجب ما يكون فإنهم قد افتروا الكذب على الله ﷻ وغرهم هذا في دينهم – والعياذ بالله – .

وقوله : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى** ﴾ أي قول اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً

وقول النصارى : الله يدخل الجنة إلا من كان نصارى .

فقال الله ﷻ : ﴿ **تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ؛ من يعمل سوء يجز به** ﴾ فليست المسألة أماني وتمنيات على الله تعالى بل من يعمل سوءاً يجز به وهذا أيضاً : ظاهر في طوائف كثيرة من هذه الأمة فتجد المرجئة مثلاً القائلين بأن الإيمان لا تضره المعاصي ولا تترتب عليه آثار المعاصي في الآخرة .

نجدهم يهلكون أنفسهم بظلمها في معاصي الله تعالى ويتهاونون بالعمل الصالح ويتمنون على الله الأماني .

ومن ذلك أيضاً : ما يدعيه كثير من المتصوفة من الخصائص وما يزعمونه من المميزات فترى بعض طوائفه تدعي أن لها خصائص ولها مميزات غيرها عن سائر الناس كقول التيجانية مثلاً : ذنوبنا مغفورة فالله ﷻ لا يعذبنا على ذنوبنا وكقولهم : إن الله لا يعذبهم في القبر – وهذا والعياذ بالله من الضلال العظيم .

وقد ورد في الترمذي وهو حديث ضعيف السند ولكنه حسن المتن : (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**) .

فالكيس : وهو العاقل من علم وعمل و لم يتمنى على الله و لم يرجو ما ليس له بل قد عمل الصالحات وثواب الله

ﷻ فكان ثوابه مع عمل الأسباب التي يجوز معها الرجاء وأما العاجز غير العاقل فهو الذي أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني الكاذبة .

* **المسألة الحادية والثمانون :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من كان يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد قال تعالى : ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾ .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) .

ولما ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة ما أتاه بالحبشة من الكنائس وما فيها من التصاوير قال : (**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**) .

* **المسألة الثانية والثمانون :**

فيها : أنهم يتخذون آثار الأنبياء مساجد كما ذكر عن عمر رضي الله عنه فيما رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور والأثر صحيح الإسناد كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية : (أنه لما قضى حجته ورجع الناس يبتدرون فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد صلَّى فيه النبي ﷺ : (أي أن الناس مع عمر رضي الله عنه أثناء قفولهم من الحج أخذوا يبتدرون ذلك الموضع فسأل رضي الله عنه فأخبر أنهم يبتدرون إلى موضع صلَّى فيه النبي ﷺ فيصلون فيه) فقال : (**هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً ؛ من عرضت له الصلاة منكم فليصلِّ ومن لم تعرض له الصلاة فلا يصلِّ**) أي من أدركته الصلاة في هذا الموضع أو هذا المسجد فليصل وأما أن يتقصد هذه البقعة للصلاة فيها لأن النبي ﷺ صلَّى فيها فهذا من تتبع آثار الأنبياء وهو من عمل أهل الجاهلية والنبي ﷺ عندما صلى في هذا الموضع أو هذا المسجد موافقة من غير تقصد لهذا الموضع

أما لو رغب فيه فهي مسألة أخرى ولكن الإقتداء به إنما يكون على وجه التمام فهو إنما عرضت له الصلاة في هذا الموضع فصلى و لم يتقصد هذا الموضع فكذلك المقتدي به إذا عرضت له الصلاة في هذا الموضع فإنه يصلي ولا يتقصد ذلك .

*** المسألة الثالثة والثمانون :**

فيها : أنهم يتخذون السُّرَج على القبور وفي الترمذي – وفي إسناده مقال – أن النبي ﷺ قال : (**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**) وفي إسناده مقال ولكن الشرع يشهد له وذلك لأن إيقاد السرج على القبور تعظيم لها وتعظيم القبور محذور شرعاً لأنه ذريعة إلى عبادتها من دون الله ﷻ وهو يكون من ذرائع الشرك .

*** المسألة الرابعة والثمانون :**

فيها : أنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم أعياداً يعتادونها في أزمنة محددة ويجتمعون فيها .

وفي أبي داود أن النبي ﷺ قال : (**صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) وهو حديث حسن .

*** المسألة الخامسة والثمانون :**

فيها : أن من مظاهرهم أيضاً : الذبح عند القبور – وهو على نوعين :

أ- أن يذبح عند القبور على وجه التعظيم لها وعبادتها من دون الله ﷻ قال تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** ﴾ .

وقال : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي " أي ذبحي " ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له** ﴾ .

ب- أن يذبح عندها ولكن يذكر عليها اسم الله وهو على وجه الابتداع في الدين مما ليس من باب الشرك وقد ثبت في سنن أبي داود وصحيح ابن حبان أن النبي ﷺ قال : (**لا عقر في الإسلام**) .

والعقر : هو أن ينحر الجزور عند قبر الميت فيقولون : تطعمه السباع والهوام كما كان يطعم في حياته – وهذا من صنيع أهل الجاهلية فنهى عنه الإسلام فإذا مات الميت فلا يشرع أن يذبح عند قبره – أي من باب الإكرام له .

وأما إن كان على وجه العبادة له فهذا شرك أكبر .

وهذه المسائل كلها التي تقدم ذكرها ظاهرة في عباد القبور الذين يبنون على القبور مساجد ويتخذون آثار الأنبياء مواضع للعبادة ويوقدون عليها السرج ويتخذونها عيداً ويذبحون لها وينذرون ويدعونها من دون الله تعالى .

هذه المسائل ظاهرة جداً وهي في بلاد كثيرة من البلاد المنتسبة إلى الإسلام فنسأل الله العفو والعافية .

*** المسألة السادسة والثمانون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يتبركون بآثار المعظمين أي كانوا : يطلبون الخير بملابسة آثارهم .

قال الشيخ رحمه الله : (**كدار الندوة**) وهي دار بناها قصي بن كلاب وهو جد قريش وكانت قريش تعظمها وتقطع الأمور فيهاً تيمناً بمن بناها – فكان هذا من صنيع أهل الجاهلية فإن قصياً كان معظماً في قريش ومن ثم فإن هذه الدار التي بناها كانت معظمة فيهم فكانت محلاً لأهل الحل والعقد فيهم فلا يبرمون أمراً إلا في هذه الدار .

قال رحمه الله : (وافتخار من كانت تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام : بعتُ مَكْرَمَة قريش) :

فكان يفتخر بذلك ومن ثم أنكر بعض الناس على حكيم بن حزام ﷺ لما باعها على معاوية ﷺ عليه بمائة ألف درهم فقيل له ذلك فقال : (**ذهبت المكارم إلا التقوى**) والأثر مشهور رواه ابن عبد البر الطبراني في معجمه الكبير فهو أثر مشهور وقد حسن الهيثمي بعض أسانيده .

فإذن : من مسائل أهل الجاهلية التبرك بأثر المعظمين فيهم .

ومن ذلك : ما كان من أهل الكتاب من بناء المساجد على القبور أي على قبور الأنبياء والصالحين وهذا من باب التبرك بآثارهم .

وهذه المسألة مشهورة في فئات كثيرة من هذه الأمة من عباد القبور الذين يبنون على تربة الأموات ممن يزعمون أنهم أولياء يبنون على ترابهم القباب ويعظمون تلك المواضع ويتبركون بتربتها فيمكنون من يولد لهم بترابها ويضعون من تراب أولئك في أكفان موتاهم – وهذا كله مما حرمه الإسلام .

*** المسألة السابعة والثمانون :**

فيها أن من مسائل أهل الجاهلية الفخر بالأحساب .

والأحساب : جمع حسب وهو الشرف ومآثر الآباء ومفاخرهم فكان هذا ظاهراً في أهل الجاهلية ومن ثم قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم : (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية فنص على أن الأربع من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة على الميت**) .

الشاهد قوله : (الفخر بالأحساب) فإنها من مسائل الجاهلية .

وهذه المسألة مشهورة في الأمة الإسلامية ومازالت من عهد الجاهلية إلى الآن وكان أهل الجاهلية يعقدون ما يسمونه بـ" المنافرات " بين القبائل فكل قبيلة تذكر مفاخرها ومآثرها وهذا لا يزال مشهوراً في الأمة الإسلامية .

*** المسألة الثامنة والثمانون :**

فيها : أن من مسائلهم الطعن في الأنساب : وهو القدح فيها " أي في أنساب الناس " .

إما أنها أصول ليست صحيحة وأصول ليست بجيدة ولا بممدوحة وهذا كله أيضاً من مسائل الجاهلية ولذا قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم (**والطعن في الأنساب**) .

وكما كان من الأميين فهو من أهل الكتاب أيضاً وأعظم ما وقع منهم هو الطعن في الأنساب .

فالتشكيك في أنساب الناس والطعن فيها والقدح والعيب هذا من حرمة الإسلام وهما من مسائل أهل الجاهلية .

وهاتان المسألتان كما تقدم لا تزالان في الأمة الإسلامية فلا يزال في الأمة من يتمسك بهدي أهل الجاهلية من الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب .

*** المسألة التاسعة والثمنون :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية الاستسقاء بالأنواء ، (والأنواء) : جمع نوء وهو النجم .

أي إضافة المطر إلى النجوم فيقولون : مطرنا بنجم كذا وكذا مع اعتقادهم أن المترل للمطر هو الله ﷻ فهم لا يعتقدون أن النجوم هي التي تترل المطر وإنما يعتقدون أن الله هو فاعل ذلك ولكنهم يضيفون إنزال المطر إلى النجوم فيكون ذلك من باب الشرك في الألفاظ .

أما دليل كونهم لا يعتقدون أن مترل المطر غير الله : فهو قول الله تعالى : **﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ﴾** .

فهم لا يقولون : إن النجوم هي التي تترل المطر وإنما الله هو الذي أنزله ولكنهم في الألفاظ ينسبون ذلك إلى النجم فيكون ذلك من الشرك الأصغر .

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : (**صلّى لنا رسول الله ﷺ على إثر سماء كانت من الليل ثم أقبل علينا فقال : أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : قال الله تعالى : (أصبح من**

عبادي مؤمن بي وكافر ؛ فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) .

ومما يدل على أنها من مسائل الجاهلية : ما تقدم من قول النبي ﷺ : (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة**) .

فإذن : أ- إن تلفظ بنسبة المطر إلى النجوم فإنه من الشرك في الألفاظ وهو شرك أصغر وهو من مسائل أهل الجاهلية .

ب- وأما : إن اعتقد أن النجوم هي التي تنزل المطر فذلك كافر كفر أكبر يخرجه ذلك من الإسلام لأنه اعتقد أن ثم رباً مع الله تعالى .

وهذه المسألة مازالت في الأمة الإسلامية كما أخبر النبي ﷺ بذلك فما زال الناس يقولون : إذا طلع النجم الفلاني نزل المطر – ونحو ذلك من الألفاظ وهذا من الشرك في الألفاظ وهو شرك أصغر .

ولكن إن قالوا : مطرنا بفضل الله ورحمته وكان وقت نزوله هو طلوع النجم الفلاني فإن ذلك لا حرج فيه ولكن كونه لا يشكر الله بلفظه ولا ينسب المطر إلى الله ﷻ بلفظه وبذكر مع ذلك النجم فإن ذلك من الشرك الأصغر .

* **المسألة التسعون :**

فيها : أن النياحة على الميت من مسائل أهل الجاهلية .

(النياحة) : رفع الصوت بذكر محاسن الميت ونحو ذلك من شق الجيوب وضرب الخدود ونحوها على وجه التسخط على قضاء الله وقدره .

وكونها من مسائل الجاهلية يدل عليه الحديث الذي رواه مسلم وفيه (**والنياحة**) .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة الإسلامية والواقع يشهد بذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* **المسألة الحادية والتسعون :**

فيها أن أجل فضائلهم البغي ، و (والبغي) : هو الاستطالة على العباد ظلماً .

كما قال تعالى عن اليهود وهم يذكرون أعظم بغي بغوه وهو إرادة قتل عيسى ابن مريم وادعاؤهم أنهم قتلوه كما قال تعالى عنهم : **﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾** وهذا أعظم البغي ومع ذلك يذكرونه على سبيل التفاخر والتكبر والعياذ بالله .

وهذا ظاهر أيضاً في الأميين حتى قال زُهير بن أبي سُلمى – صاحب المعلقة – :

ومَن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّمْ ، ومن لا يَظلم الناس يُظلم

فمن أجل فضائلهم : البغي على العباد فذكر الله ذلك في كتابه الكريم محذراً عنه كما في قوله تعالى : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق** ﴾ الآية .

* **المسألة الثانية والتسعون :**

فيها : أن أجل فضائلهم الفخر ولو بحق ، (والفخر) : هو ذكر الفضائل والمآثر ولذا كانوا يعقدون المنافرات بين القبائل فكل يذكر محاسن قومه من كرم وعفةٍ وقوةٍ وبأسٍ عددٍ وعدةٍ وغير ذلك وهذا كله من فعل أهل الجاهلية .

وقد قال تعالى عن قوم عاد : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة** ﴾ .

وقال فرعون : ﴿ **يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون * أما أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين * فلو لا ألقي عليه أسورة من ذهب** ﴾ .

وغير ذلك من الآيات بل كل الأقوام الذين بعث إليهم الأنبياء كانوا على هذه الصفة كما قال تعالى :

﴿ **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين** ﴾

فمسألة التفاخر بالأحساب والأنساب والعدد والعدة والكرم والشجاعة وغير ذلك من الصفات أمر ظاهر جداً في أهل الجاهلية في الأميين وأهل الكتاب ، وهي مسألة أيضاً مازالت ظاهرة في الأمة الإسلامية .

* **المسألة الثالثة والتسعون :**

فيها : أن أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين كانوا يتعصبون لطائفتهم سواء كان ذلك له وجه ، أم لم يكن له وجه وسواء أكان بحق أم بباطل حتى قال بعضهم – وهو حديث عن النبي ﷺ بعد ذلك ولكنه ليس على ظاهر ، وهم يريدون به ظاهره وهو : (**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**) فهم يريدون به ظاهره وأما النبي ﷺ فقد ثبت عنه ذلك في صحيح البخاري وبين مراده بقوله عليه الصلاة والسلام : (**تأخذ فوق يده**) يعني إذا كان ظالماً فإنك تأخذ فوق

يده فتمنعه من الظلم – هذا في الأميين .

وكذلك هو في أهل الكتاب فإن بني قينقاع من اليهود كانوا حلفاء الخزرج وكانت بنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس فكان إذا نشب قتال بين الأوس والخزرج قاتلت كل طائفة من اليهود مع حلفائها سواء كانوا

ظالمين أو مظلومين حتى إن اليهود ليقتل بعضهم بعضاً مع أن الله عز وجل حرم عليهم ذلك ولكن لنصرة طائفتهم كانوا يفعلون ذلك

ومما يدل على أنه من مسائل الجاهلية : ما ثبت في مسلم أن النبي ﷺ قال : (**من قُتل تحت راية عِّميَّة أي على عمى لا يدري ما وجه هذا القتال يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية**) فدل على أن أهل الجاهلية يقتلون على ذلك لنصرة العصبية للدعوة إليها وللغضب لها – والعياذ بالله- .

وهذه لا تزال ظاهرة في الأمة الإسلامية ومما يُنبه عليه : ما يقع لبعض المنتسبين إلى بعض الجماعات الإسلامية فإنهم يتعصبون لهذه الجماعة التي ينضمون تحت لوائها سواء أكانت على حق أو باطل ولو كان يترتب على ذلك رد الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهدي السلف الصالح فإنهم لا يعبأون بذلك كله عندما يكون في ذلك طعن لحزبهم وجماعتهم بل ينصرون جماعتهم مهما ترتب على ذلك وإن تركوا الحق – والعياذ بالله – .

* **المسألة الرابعة والتسعون** :

فيها : أن من دين أهل الجاهلية أخذ الرجل بجريمة غيره فيؤاخذون غير الجاني بالجاني فهذا من دينهم .

ومن ذلك ما يكون من الثأر فيقتلون الأخ بأخيه ويقتلون الابن بأبيه وربما قتلوا الجماعة بالواحد كما كان ذلك من فعل أهل الجاهلية من الأميين بل وأهل الكتاب أيضاً .

ومن ذلك أيضاً : أن اليهود يعتقدون أن الابن مؤاخذ بذنب أبيه إلى أربعة أجيال من أحفاده كلهم يؤاخذون بالأب – فهذا من دين اليهود وهو مذكور في التوراة المحرفة ومن دين النصارى : أن بني آدم كلهم مؤاخذون بخطيئة آدم عليه السلام فإنهم يحملون وزره ، ومن ثم – كما يقولون - : أنزل الله ويجعل ابنه عيسى ليفدي الناس من خطيئة آدم فصَلِب فداءً للناس من خطيئة آدم .

فمؤاخذة الإنسان بجريمة غيره وجريمته من دين أهل الجاهلية فأبطل الله ذلك في الإسلام كما قال تعالى :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

وهذه المسألة ما زالت تقع من بعض متعصبة القبائل من الثأر الذي حرمه الله من أخذ غير الجاني بجريمة الجاني .

* **المسألة الخامسة والتسعون** :

فيها : أن من سلوكياتهم تعيير الرجل بما في غيره فيعير الابن بذنب أذنبه أبوه أو أحدٍ من أجداده أو بذنب أمه أو بعيب منهم فيؤاخذ ذلك كما قال النبي ﷺ كما في الصحيحين – لأبي ذر لما عيَّر رجلاً بأمه فقال : يا ابن السوداء قال النبي ﷺ : (**أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية**) فهذا دليل على أن هذا العمل من مسائل أهل الجاهلية ولا شك أن هذا من الظلم العظيم .

* **المسألة السادسة والتسعون :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يفتخرون بولاية البيت – وهم أهل مكة من قريش – يفتخرون ويتكبرون على الناس بذلك وأنهم هم القائمون على عمارته وسقاية الحجيج فكانوا يفتخرون بذلك ويقولون : نحن أولياء الله من دون الناس أي بذلك العمل فقال الله ﷻ : ﴿ **مستكبرين به سامراً تهجرون** ﴾ أي بالبيت فقد استكبرتم على الناس بولايته وتسمرون به ليلاً وتقولون الهُجُر : أي تقولون الكلام القبيح .

أي : حالتكم أنكم تسمرون ليلاً في بيت الله ﷻ أو حوله وتقولون القول الهُجُر من الشرك بالله ﷻ وقول الزور وغير ذلك .

ووصفهم الله بنقيض ذلك من الصد عن المسجد الحرام فقال سبحانه : ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون** ﴾ .

وقال : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله** ﴾ ، فأبطل الله ذلك كله .

ومن هذا في الإسلام ما كان في ولاية الأشراف الذين ينتسبون إلى فاطمة بنت النبي ﷺ ومن كان يشرف عليه من العثمانيين فإنهم كانوا يفتخرون على الناس بولاية البيت وسقاية الحاج فيه وعمارته مع أنهم قد أظهروا فيه التنديد والشرك بالله سبحانه فأظهروا أعظم الهُجر فأظهروا أعظم الكلام القبيح وهو الشرك بالله وبنيت القباب حول بيت الله ﷻ وأشرك بالله ﷻ ومع ذلك فإنهم يفتخرون على الناس بذلك .

* **المسألة السابعة والتسعون :**

فيها : أنهم يفتخرون بكونهم ذرية الأنبياء فكانت قريش تفتخر بأنها من ذرية إبراهيم عليه السلام وكانت اليهود والنصارى تفتخر بأنها من ذرية الأنبياء .

فأتى الله تعالى بقوله : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم** ﴾ فليس للإنسان إلا ما سعى – وهو عمله فلا ينفعه أن يكون من آبائه الرجل الصالح أو النبي هذا لا ينفعه إلا أن يكون متبعاً لسنة نبيه مقتدياً به وإلا فإن ذلك لا ينفعه شيئاً ولذا قال النبي ﷺ : (**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت**

لا أغني عنك من الله شيئاً) فهم كانوا يفتخرون بأنهم ذرية الأنبياء وأنهم بذلك نالوا ولاية الله تعالى وأنهم حينئذ لا يعذبهم الله ﷻ يوم القيامة فأبطل الله ذلك كله ونفاه بقوله : **﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾** .

وهذا أيضاً ظاهر في هذه الأمة لاسيما في المتصوفة فقلَّ طريقة من طرق المتصوفة إلا وتنسب شيخها إلى فاطمة بنت محمد ﷺ رضي الله عنها ويرون أنهم بذلك ينالون شفاعة النبي ﷺ وينالون بذلك ولاية الله ﷻ .

*** المسألة الثامنة والتسعون :**

فيها : أنهم يفتخرون بالصنائع فصاحب الصنعة يفتخر على صاحب الصنعة الأخرى كفعل أهل الرحلتين – رحلة الشتاء ورحلة الصيف – فإن أهل التجارة الذين يرحلون شتاءً وصيفاً وهما الرحلتان اللتان ذكرهما الله بقوله :**﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾** فكانوا يفتخرون – أي أهل هذه التجارة – على أهل الحرث – وكانوا يرون الحرث والزرع ذلاً فكانوا يفتخرون – على أهل الحرث بذلك وكانوا يعتقدون أن الحرث من الذل كما هو ظاهر في أشعارهم .

ومن ذلك افتخار قوم نوح فيفتخر بعضهم وهم الكفار على من آمن من أصحاب الصنعة الرديئة وقالوا : **﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾** أي الأرذلون في صنعتهم .

وقال صاحب الجنتين : **﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾** .

*** المسألة التاسعة والتسعون :**

فيها:أن الدنيا في قلوبهم معظمة ولها قدر كبير جليل حتى إنهم يؤثرونها على الحياة الآخرة – والعياذ بالله– .

قال المؤلف : (**كقولهم : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾**) :

أي لولا نزل هذا القرآن على صاحب مال وشرف وسيادة من إحدى القريتين وهما مكة والطائف .

قيل : إن المراد برجل مكة : الوليد بن المغيرة وأن المراد برجل الطائف : عروة ابن مسعود الثقفي وقد أسلم رضي الله عنه وقيل غير ذلك ، ولكن مرادهم هو أن يكون هناك كبير من إحدى القريتين يوحي الله إليه وهذا يدل على تعظيمهم للدنيا فإنهم جعلوا مناصب الدين لأهل الدنيا فيقولون : هؤلاء هم أهل الدنيا وأهل المال الكثير الوافر وأهل الجاه والمترلة فهم الذين يستحقون أيضاً المناصب الدينية وهذا يدل على تعظيمهم للدنيا.

ومن ذلك أنهم يتركون إتباع الحق لعظمة الدنيا في نفوسهم ومن ذلك ما وقع لهرقل عظيم الروم فإنه تـرك الإسلام مع علمه أنه حق خوفاً على ملكه أن يسلب وهذا كله من تعظيم الدنيا .

* **المسألة المائة :**

فيها : أنهم يتحكمون على الله أي يقترحون عليه في شرعه فيقولون : لولا شرع الله كذا ولولا أحـل الله كذا ولولا حرم الله كذا .

وكذا الاقتراح على الله في قدره فيقولون : لولا فعل الله كذا ، ولـولا لم يفعـل الله كـذا فيقترحـون ويتحكمون على الله تعالى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فهو حكيم سبحانه في قدره وشرعه وضرب ذلك مثلاً بقولهم : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** ﴾ فهو اقتراح على الله في شرعه .

ومن ذلك : ﴿ **لولا أنزل عليه ملك** ﴾ : ﴿ **لولا يأتينا بآية** ﴾ : ﴿ **لو كان لنا من الأمر شيء** ﴾ وغـير ذلك ففيها الاقتراح على الله تعالى .

وهذه المسائل كلها مشهورة معلومة في واقعنا من افتخار بعض أهل الصنائع بعضهم على بعض ومن عظمة الدنيا في قلوبهم ومن الاقتراح على الله تعالى وغير ذلك من المسائل .

* **المسألة الحادية بعد المائة :**

فيها : أن أهل الجاهلية كانوا يحتقرون الفقراء ويزدرونهم ومن ذلك أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يطرد من حوله من الفقراء فأنزل الله ﷻ : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ .

وكما قال نوح عليه السلام : ﴿**ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم** ﴾.

فكان بعض أهل الجاهلية يزدرون الفقراء ويحتقرونهم فأتاهم الله بقوله : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهـم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾ .

* **المسألة الثانية بعد المائة :**

فيها أنهم يرمون أتباع الرسل بعدم الإخلاص وطلب الدنيا فأجابهم الله بقوله : ﴿ **ما عليك من حسابهم من شيء** ﴾ فكانوا يرمون أتباع الرسل بأنهم لم يقتنعوا بالدعوة و لم يؤمنوا بها وإنما يتبعونها لما فيها من المصالح الدنيوية فهم من باب الرغبة بالملك أو الرغبة بالجاه أو الرغبة بالمال والغنائم يتبعون رسل الله فأجـابهم الله بقوله : ﴿ **ما عليك من حسابهم من شيء** ﴾ .

أي : هذا أمر باطن لا يحل لك أن تحكم على الناس به فالله ﷻ هو الذي يحكم على الباطن وإنمـا تحكـم أنت على الظاهر .

ولا شك أن هذه المقالة واقع أتباع الرسل يدل على تكذيبها فإنهم آمنوا بالرسل وعرضوا أنفسهم للقتل وأموالهم للاستباحة فاستبيح من أموالهم ما استبيح ، وقتل من أنفسهم ما قتل ، وأوذوا في سبيل الله أعظم الأذية وأشدها .

فكيف يقال بعد ذلك : إنهم ما اتبعوا النبي ﷺ إلا طلباً للدنيا .

وهذه المقالة لا تزال فلا يزال أعداء الله تعالى يرمون أتباع الرسل بأنهم يتمسكون بهذه الدعوة طلباً للسلطة والملك في الأرض والعلو فيها وطلباً للغنائم فهم إنما يجاهدون طلباً للغنائم وإنما يتمسكون بهذه الدعوة طلباً للجاه وطلباً للشهرة .

*** المسألة الثالثة بعد المائة :**

فيها : أنهم كانوا يكفرون بالملائكة ومن ذلك أن كفار العرب كانوا يقولون في الملائكة إنهم إناث كما قال تعالى :﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً** ﴾ .

ومن ذلك : أن اليهود – وهم من أهل الكتاب – كانوا يعادون ملائكة الله ﷻ لاسيما جبريل عليه السلام قال تعالى : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ .

وفي البخاري أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال – لما أتى ذكر جبريل – قال :(**ذلك عدو اليهود من الملائكة**) .

إذن : الكفر بالملائكة من مسائل أهل الجاهلية وهي كذلك من مسائل الأمم التي بعد الجاهليين فالملاحدة ينكرون الملائكة والعقلانيون يفسرون الملائكة بما يكون إنكاراً لهم فهم يتأولونهم – وهذا تقوله المدرسة العقلية ومن أئمتها محمد عبده المشهور فيقولون : الملائكة : هم قوة طبيعية في المخلوقات ومن ذلك الفكر الإنساني أهـ .

وهذا هو قول الفلاسفة الذين يقولون : إن الملائكة هم العقل وهذا من الكفر بالملائكة .

*** المسألة الرابعة بعد المائة :**

فيها : أنهم يكفرون بالرسل وهذا مشهور عنهم وقد قال تعالى : ﴿ **ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب** ﴾ ، والآيات كثيرة في كفرهم برسل الله .

والنصارى كفروا بالنبي ﷺ واليهود كفروا به ربعيسى .

*** المسألة الخامسة بعد المائة :**

فيها:إنهم يكفرون بالكتب السماوية ومن ذلك قول الوليد بن المغيرة للقرآن: **﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾.**
ومن ذلك : أن أهل الكتاب نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم .

*** المسألة السادسة بعد المائة :**

فيها : أنهم يعرضون عما جاء عن الله .

والمراد بالإعراض : عدم الالتفات إلى ما جاءت به الرسل عن الله تعالى ومن ذلك كفر الإعراض الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله في نواقض الإسلام وهو : أن يعرض عن الإسلام فلا يتعلمه ولا يوالي أهله ولا يعاديهم فهو معرض عن الإسلام تعلماً وتعليماً ولا يوالي أهله ولا يعاديهم فهذا هو كفر الإعراض .

والمسألة هنا : أعم من ذلك فالإعراض عما جاء عن الله بأن لا يلتفت إلى ما جاءت به الرسل وألا يمعن بنظره بما جاءوا به عن الله تعالى قال تعالى : **﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾.**

ولأهل البدع عامة من هذه المسألة النصيب الوافر فهم قد أقبلوا على العقول وآراء الرجال وأعرضوا عما جاءت به الرسل من الكتاب والسنة وقال بعضهم : هي ظنيات وليست بيقينيات وإنما اليقين ينال من العقليات وأما السمعيات فلا تفيد يقيناً .

*** المسألة السابعة بعد المائة :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية الكفر باليوم الآخر قال تعالى : **﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴾** .

وقال سبحانه : **﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ﴾** وقال تعالى : **﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾** فإنكار اليوم الآخر والكفر به وإنكار المعاد من مسائل الجاهلية والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا به فتكون من المسائل التي كفروا بها فتكون هذه المسألة من المسائل التي يكفر فاعلها ، وما تقدم من الآيات هو في الأميين .

وأما أهل الكتاب فقال تعالى : **﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حَّرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾** .

فكان من أهل الكتاب من لا يؤمن باليوم الآخر .

* **المسألة الثامنة بعد المائة :**

فيها أنهم يكذبون بلقاء الله وهو جزء من الإيمان باليوم الآخر قال تعالى : **﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها .... ﴾** .

وقال : **﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله .... ﴾** .

وقال : **﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم .... ﴾** .

ومما يتفرع من التكذيب بلقاء الله : إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة وممن قال به المعتزلة الذين ينكرون أن يرى المؤمنون الله يوم القيامة ، ومن لم يؤمن بلقاء الله في الآخرة فمن باب أولى لا يؤمن برؤيته في الآخرة وأما من لا يؤمن برؤيته في الآخرة فقد يؤمن بلقائه فالمعتزلة يؤمنون بلقاء الله تعالى ولكنهم ينكرون رؤيته في الآخرة فخالفوا ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

* **المسألة التاسعة بعد المائة :**

فيها : أن من مسائلهم التكذيب ببعض ما جاءت به الرسل من الإيمان باليوم الآخر فقد يؤمن بعض أهل الكتاب أو بعض الأميين باليوم الآخر ولكنه ينكر بعض ما جاءت به الرسل من الإيمان باليوم الآخر قال الشيخ رحمه الله تعالى كما في قوله تعالى : **﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ﴾** فالكفر بلقاء الله ﷻ كفر ببعض ما جاءت به الرسل من الإيمان باليوم الآخر .

ومنها : التكذيب بقوله : **﴿ مالك يوم الدين ﴾** فإن مما جاءت به الرسل أن الله ﷻ هو مالك يوم الدين فهو ديّان ذلك اليوم العظيم والذي يحاسب الناس ويجازيهم .

وهناك من أنكر هذا كالنصارى الذين يقولون : مالك يوم الدين هو المسيح بن مريم ويذكرون ما حرفوه في الإنجيل الذي أنزله الله فيقولون : (الذي يملك الحساب والجزاء يوم الدين هو الابن " هو المسيح بن مريم عليه السلام ") .

فالنصارى أنكروا بعض ما جاءت به الرسل في اليوم الآخر .

وقوله : **﴿ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾** هنا أهل الجاهلية من كفار قريش وغيرهم كانوا يثبتون الشفاعة المنفية هنا فالله هنا يقول : **﴿ ولا شفاعة ﴾** وهم يقولون : بل الشفاعة ثابتة .

والمراد بالشفاعة المنفية هنا : الشفاعة مع عدم رضا الله عن المشفوع له وعدم إذنه للشافع .

والكفار كانوا يثبتون الشفاعة المنفية فيقولون اللات والعزى ستشفع لنا عند الله ﷻ يوم القيامة – وهذا فيمن يقر منهم باليوم الآخر – أو أنهم يذكرون ذلك على فرضيته ويقولون : على فرضية ثبوت اليوم الآخر فإن الآلهة ستشفع لنا عند الله .

وقوله : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ قال تعالى : ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ فهذه الآية فيها مسألة الشفاعة التي في الآية التي في قبلها فالشفاعة لا تكون إلا لمن شهد بالحق وهو يعلمه لأن الله ﷻ يرضى عمن شهد بالحق وهو يعلم به .

وهذه المسألة ظاهرة في الأمة المحمدية من إنكار بعض ما جاءت به الرسل في اليوم الآخر من بعض المبتدعة ومن ذلك المعتزلة الذين ينفون الشفاعة لأهل الكبائر وينفون رؤية الله يوم القيامة وينفون الميزان والصراط والحوض وهذا مما جاءت به الرسل ومع ذلك ينكرونه فتشبهوا في ذلك بالكفار .

* **المسألة العاشرة بعد المائة :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من يقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس من الأنبياء ودعاة الحق قال تعالى :﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ وقال تعالى عن اليهود : ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله** ﴾ وقال تعالى عن قوم نوح : ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ .

وقال عن قوم صالح : ﴿ **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون** ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وهذه أيضاً من المسائل الواقعة فإن الكثير من البلاد التي لا تحكم توحيد الله ولا شرعه تنابذ العداء لدعاة الحق فتقتل منهم من تقتل وتسجن من تسجن وتنفي من تنفي .

* **المسألة الحادية عشر بعد المائة :**

فيها : إنهم كانوا يؤمنون بالجبت والطاغوت قال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ .

والطاغوت هو : كل ما عبد من دون الله ﷻ أو اتبع أو أطيع .

وأما الجبت فقيل : هو الساحر وقيل هو السحر وقيل هو الأصنام والصحيح أنه عام في ذلك كله فمن أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت وقد أوتوا نصيباً من الكتاب وهذا أيضاً موجود من طوائف في هذه الأمة من الإيمان بالكهنة والسحرة والعرافين وغيرهم وأيضاً : من عبادة القبور فإنها من الطاغوت ومن طاعة

غير الله تعالى والمراد بها الطاعة الشركية وكذلك إتباع بعض علماء السوء الذين يحلون ما حرمه الله تعالى ويحرمون ما أحله الله

*** المسألة الثانية عشر بعد المائة :**

فيها أن من هديهم تفضيل دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى :**﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾** فهؤلاء قد فضلوا دين المشركين على دين المسلمين ، وهذا أيضاً قد وقع من علماء السوء الذين كانوا يفضلون دين المشركين على ما دعا إليه الإمام محمد رحمه الله – وغيره ممن دعا إلى توحيد الله ﷻ فكانوا يفضلون دين أولئك المشركين الذين يعبدون القبور على دين هؤلاء ويقولون هؤلاء خوارج وأما أنتم فعلى السنة والجاهل معذور ونحو ذلك فكانوا يفضلونهم ويوالونهم ويعادون أهل التوحيد والقائلين به .

*** المسألة الثالثة عشرة بعد المائة :**

فيها : أن من أهل الجاهلية من يَلْبِسُ الحق بالباطل .

ولبس الحق بالباطل : أن يخلط الحق بالباطل حتى لا يتميز وحتى يشتبه على الناس فيستر الحق بذلك .

وهذه الطريقة يسلكها أعداء الرسل حيث بلغ الحق الناس فإنهم يسلكون هذه الطريقة فإذا سمع الناس دلائل الحق وبراهين الإسلام فإنهم يدخلون على ذلك الباطل حتى يشتبه على الناس الحق ويختلط عليهم الحق والباطل .

قال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾** .

أي : لم تسترون الحق بالتمويهات الباطلة والتحريفات وغير ذلك مما يسلكونه لصد الناس عن الحق الذي سمعوه .

ومن ذلك : أنهم خلطوا صدق المترل في التوراة بكذب المحرف فالتوراة فيها الصدق المترل عن الله تعالى وفيها الكذب المحرف الذي صنعته أيدي علماء السوء منهم .

ومن ذلك : أنهم كانوا يقولون للمشركين : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً وهذا من خلط الحق بالباطل .

وهذه المسألة ظاهرة في سائر المبتدعة من خلط الحق بالباطل فتجد نفاة الصفات يقولون : إثبات الصفات الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف يقولون : يلزم منه حلول الحوادث بالله ﷻ ويلزم منه تشبيه الله تعالى بخلقه قالوا : وقد قال تعالى : **﴿ ليس كمثله شيء ﴾** .

فردوا الحق بسبب هذه التمويهات الباطلة وأظهروا الحق بمظهر الباطل فسموا إثبات الصفات لله تعالى تشبيهاً وسموا السنة بدعة وهكذا وهذا كله من لبس الحق بالباطل .

*** المسألة الرابعة عشر بعد المائة :**

فيها : ذكر طريقة ثانية من طرق أعداء الرسل وهي كتم الحق قال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾** .

فمن لم تبلغه دلائل الحق فإنهم يكتمونها عنه كما كان في اليهود تكتم ما في التوراة من ذكر النبي ﷺ قال تعالى :**﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ﴾** .

فإذن لهم طريقتان :

١-الطريقة الأولى:لبس الحق بالباطل فمن بلغته دلائل الحق فإنهم يدخلون عليها الباطل فيلتبس عليه الأمر.

٢- كتم الحق : من لم تبلغه دلائل الحق فإنهم يكتمونها عنه .

وهذه المسألة الثانية ظاهرة في علماء السوء أتباع الشيطان الذين يكتمون عن الناس الحق فإذا رأوا الناس يعبدون القبور فإنهم لا ينكرون عليه ذلك مع علمهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ﷻ – وهذا شيء كثير فليس كل علماء المشركين علماء البدع لا يعلمون الحق بل الكثير منهم يعلم الحق ولكنه يكتمه حفاظاً على مصالحه الدنيوية والعياذ بالله .

*** المسألة السادسة عشرة بعد المائة :**

فيها : أن الله ﷻ عاقب أهل الجاهلية كما كذبوا بالحق عاقبهم بالتناقض الواضح .

فمن كذب بالحق بعد إذ جاءه فإن الله ﷻ يعاقبه بالتناقض الواضح قال تعالى : **﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾** ، الأمر المريج : هو الأمر المضطرب المختلف .

فإذا رأيت عباد الأصنام فتجدهم فرقاً شتّا فهذا يعبد اللات وهذا يعبد العزى وهذا يعبد مناة وهكذا بل كان الرجل منهم يعبد الصنم ثم يتركه إلى غيره فهم في أمر مضطرب مختلف وهم في مسائل القدر كما تقدم في أمر مضطرب مختلف ، وهم في بعض مسائل الأسماء أيضاً مختلفون فمنهم من يثبت ومنهم من ينفي كما تقدم في اسم الرحمن .

وهكذا أيضاً أهل الكتاب فإنهم كانوا مضطربين في أديانهم من اليهود والنصارى كما قال النبي ﷺ : (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة**) .

فإذن : هم فرق شتى وهذا كله عقوبة من الله تعالى لما كذبوا بالحق إذ جاءهم .

وهذه المسألة ظاهرة فيمن رد الحق من أهل البدع فإن أهل البدع أيضاً ملل شتى حيث أعرضوا عما جاءت به الرسل وأقبلوا على آرائهم وأهوائهم ولذا قال النبي ﷺ : (**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**) .

بل إذا نظرت إلى الفرقة الواحدة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام نجدها فرقاً شتى فالخوارج فرق شتى يكفر بعضهم بعضاً والمعتزلة فرق شتى يلعن بعضهم بعضاً ويُبدع بعضهم بعضاً وهكذا سائر أهل البدع فهم متناقضون في أنفسهم بل إنك تجد الرجل من أهل البدع يقول القول ويقول إن هذا القول : شرط في صحة الإيمان ثم بعد ذلك يكفر به وذلك من أعظم التناقض فهم في حيرة وفي اضطراب عظيم والعياذ بالله .

*** المسألة السابعة عشرة بعد المائة :**

فيها : أن من مسائل أهل الجاهلية أنهم يؤمنون ببعض المُنَزَّل دون بعض والحاكم في ذلك الأهواء فما هووه آمنوا به وما لم يهوده فإنهم ينكرونه ويكذبون به فجعلوا أهواءهم حاكمة على المترل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض قال تعالى **﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾** .

وقال تعالى : **﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾** .

فكانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض والحاكم في ذلك أهواؤهم والعياذ بالله وهذه المسألة ظاهرة في فرق المبتدعة فتجد أنهم يذكرون من الدلائل من الكتاب والسنة ما يوافق أهواءهم – أي ما يرون أنه يوافق أهواءهم ويتبعون المتشابه من الكتاب وأما الآيات المحكمة التي تبين ما تشابه من الكتاب فإنهم يجعلونها وراء ظهورهم فتجد الخوارج والمعتزلة يستدلون بنصوص الوعيد فيكفرون بها فيكفر بها الخوارج في الدنيا وفي الآخرة ويكفر بها المعتزلة في الآخرة وفي الدنيا يجعلونه في المترلة بين المترلتين فأخذوا آيات الوعيد وتركوا الآيات المبينة التي تبين أن هؤلاء العصاة من المسلمين وأنهم ليسوا بكفار .

وهكذا سائر المبتدعة فإنهم إذا تمسكوا بشي فإنهم يتركون من الكتاب ما يبينه وما يوضحه وما يظهره .

وفيما يقبلونه من الحق إنما يقبلونه حيث وافق أهواءهم ورغبات نفوسهم والعياذ بالله .

*** المسألة الثامنة عشرة بعد المائة :**

فيها : أنهم يفرقون بين الرسل فيؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم قال تعالى : **﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً ﴾** .

فاليهود كانوا يكفرون بنبوة سليمان عليه السلام فلم يكونوا يرونه نبياً بل كانوا يرونه ملكاً ساحراً ، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون وكفروا بنبوة محمد ﷺ ، وكفرت النصارى بنبوته عليه الصلاة والسلام

كما أن اليهود كفروا بنبوة عيسى عليه السلام ، فكانوا يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض .

*** المسألة التاسعة عشر بعد المائة :**

فيها : أنهم يجادلون ويخاصمون ويحاجون فيما ليس لهم به علم وليس عندهم من الله عز وجل هدى بل يجادلون بمحض الجهل ، فيجادلون في المسائل التي يأتي بها رسل الله ولا يجادلون بناءً على علم وهدى من الله بل بناء على الجهل قال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون * هاءنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم** " وهو محمد ﷺ فجادلتم بنبوته ولكم العلم بأنه نبي من الله " **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾** .

فأنتم الآن تجادلون في مسألة ليس لكم بها علم فليس في التوراة ولا في الإنجيل ذكر إبراهيم عليه السلام وأنه من اليهود أو أنه من النصارى كما ادعوا ذلك قال تعالى: **﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾** وقال تعالى : **﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾** .

فإذن يخاصمون فيما ليس لهم به علم فيجادلون بالباطل .

*** المسألة العشرون بعد المائة :**

فيها : أنهم يدعون أتباع السلف مع أنهم يظهرون مخالفتهم – وتقدم الكلام على هذه المسألة .

*** المسألة الحادية والعشرون بعد المائة :**

فيها : أنهم يصدون الناس عن سبيل الله عز وجل حيث آمنوا فهم يصدون عن دين الله وعن دين الإسلام من آمن به يبغونها عوجاً قال تعالى: **﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾** وقال تعالى : **﴿ يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾** وقال تعالى : **﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به ﴾** فمن مسائل الجاهلية صد المؤمنين عن سبيل الله عز وجل بأن يفتنوهم عن

دينهم بالإيذاء والضرب والسجن حتى يتركوا دينهم وبالقاء الشبه والتمويه حتى يدعوا ما هم عليه من الحق كما أهم يصدون من لم يؤمن فيصرفونه عن أتباع الحق .

وهذه المسألة ظاهرة في أهل البدع فإنهم يثبتون الأكاذيب والإشاعات ليصدوا الناس عن الحق كما أشاعوا عن الدعوة التي قام بها الإمام محمد – رحمه الله – أنها دعوة خارجية وأنهم على دين الخوارج وأنهم يكفرون المؤمنين وغير ذلك من الأكاذيب وأنهم لا يحبون النبي ﷺ وغير ذلك من الإشاعات ليصدوا الناس عن دين الله ﷻ .

*** المسألة الثانية والعشرون بعد المائة :**

فيها : أنهم يودون أن يكفر المؤمنون كما قال تعالى﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ وقال : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** ﴾ ، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الكفار من الأميين وغيرهم يودون لمن دخل في الإسلام أن يرتد على عقبه وأن يترك دينه ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ .

*** المسألة الثالثة والعشرون بعد المائة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة والعشرون بعد المائة :**

فيها أن من مسائلهم : " العيافة " وهي زجر الطير فإذا ذهب يمنة تفاءلوا وإذا ذهب يسرة تشاءموا فكان هذا من فعل الجاهلية .

ومن ذلك : الطرق " وهو الخط يخط في الأرض فهي خطوط يخطها العراف في الأرض أو حصى يضربها في الأرض أو نحو ذلك مما يفعلونه ومن ثم يبني على ذلك المسائل الغيبية فيخبر الناس بما يسألونه عن الأمور الغيبية بعد فعله ذلك .

ومن ذلك : " الطيرة " وهي التشاؤم وقد ثبت في سنن أبي داود والنسائي أن النبي ﷺ قال : (**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**) .

ومن ذلك : " الكهانة " وهي ادعاء علم الغيب وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أمور كنا نصنعها في الجاهلية ، كنا نأتي الكهان قال النبي ﷺ : (**فلا تأتوهم**) .

قال : كنا نتطيَّر قال : (**ذلك أمر يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**) ، فالطيرة والكهانة من مسائل الجاهلية .

ومن ذلك : " التحاكم إلى الطاغوت " : أي إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهم يتحاكمون إلى الكهان وغيرهم ولا يتحاكمون إلى كتاب الله ﷻ ويتحاكمون إلى النظم العشائرية وغير ذلك ، قال تعالى : **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾** .

فتحكيم الطاغوت هو حكم الجاهلية وقال تعالى : **﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾** فالتحاكم إلى غير المترل من فعل الأميين وأهل الكتاب .

ومن ذلك : " كراهة التزويج بين العيدين " : أي بين عيد الفطر وعيد الأضحى .

ومعلوم أن هذين العيدين ليسا عند أهل الجاهلية لأنها من أعياد الإسلام فمراد الشيخ رحمه الله أي المدة التي تكون بينهما أي شهر شوال وشهر ذي القعدة أما شهر ذي القعدة فهو من أشهر الحج وأما شهر شوال فإن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون من النكاح فيه ولذا قالت عائشة رضي الله عنها لترد ذلك وتبطله قالت كما في صحيح مسلم :

(**تزوجني النبي ﷺ في شوال وبنى بي في شوال فأي نساء النبي ﷺ كانت أحظى عنده مني**) وهذا رد منها لما كان يعتقده أهل الجاهلية من التشاؤم ، وهذه المسألة لا تزال في هذه الأمة كما يذكر في بعض البلاد من التشاؤم من النكاح في شوال .

وإلى هنا شرح مسائل الجاهلية لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وشرحها فضيلة الشيخ حمد بن عبد الله الحمد حفظه الله تعالى وكان الانتهاء من شرحها عصر يوم الثلاثاء من شهر ربيع الثاني لعام ألف وأربعمائة وسبعة عشر من هجرة النبي المصطفى ﷺ ونسأل الله أن ينفعنا بما فيها من العلم فإن يثبتنا بما فيها من العلم وأن يثبتنا ويهدينا صراطاً مستقيماً ،،،

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين